كثير منه وكيف لا يفهم كلام وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا
مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما تسمي ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنريك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم
وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى التسعة وانما قالوا ولولاهم احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم
لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك
لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك
هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم
دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى
من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات
النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها على مكانتكم لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى المكان
يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين
من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتاييد ويمكنني من يأتيه يجوز ان يكون من استفهامية معلقة بفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل
سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان يكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فان قلت
اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستيناف الذي هو جواب
لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستيناف للتفنن في البلاغة كما هو
عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم
رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر
والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم وكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى
ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في
زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر
الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو التسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا بتلك
المثابة وانما وقعتا مبتدائين وكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني ان جبريل صاح
بهم صيحة فزهق روح واحد منهم بحيث هو قعصا كأن لم يغنوا كان لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد
بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البنائين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك
وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان
ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها باياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الايات فيها سلطان مبين لموسى على
صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه
ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا
فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم
ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الايات والسلطان المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره

رشدا وقط يقدم قومه اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة
ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى
تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء
بلفظ الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورد والمورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي
يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا
في هذه اي في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الاخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد
للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الاخرة وقيل بئس العطاء المعطى ذلك مبتدا من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبا بعض انباء القرى
المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى خبر اي بعضها باق وبعضها عاف الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي
مستانفة لا محل لها وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم الهتهم فما قدرت ان ترد عنهم باس الله يدعون
يعبدون وهو حكاية حال ماضية ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اذا اوقعه في الخسران محل الكاف
الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرا وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع
صعب على الماخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم نفسه او غيره بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر
اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم لاية لعبرة لمن خاف لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين
في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الاخرة واذا راى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من
الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الاخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس
فان قلت لاي فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس
له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف
وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب
يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر
شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فان قلت ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله
مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا في نفسه فساير
الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع ~~مثله يشهدها~~ بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان
يكون مشهودا في نفسه لان ساير ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه
والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا بوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده
المقيم ويغيب عنه المسافر الاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهيها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل اخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد اخر
مدة التاجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء
وقرئ يوم يات بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فان قلت فاعل ياتي ما هو قلت الله عز وجل
كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله او ياتي ربك وجاء ربك وتعضده قراءة من قرا وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى ان تاتيهم
الساعة فان قلت بم انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم ياتي

فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشئ بنفسه قلت المراد اتيان هوله وشدائده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير
قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم ياتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون
قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يوذن وفي بعضها يوذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم
على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له
الناس والشقى الذي وجبت له النار لاساته والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه قراة العامة بفتح الشين وعن الحسن شُقوا بالضم كما قرئ سُعِدوا والزفير اخراج
النفس والشهيق رده قال الشماخ بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما ان يراد سموات الاخرة وارضها
وهى دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد
لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثانى ان يكون عبارة عن التابيد ونفى الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما اقام
ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمة التابيد فان قلت فما معنى الاستثناء فى قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار فى الابد من غير استثناء قلت
هو استثناء من الخلود فى عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب
سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسئه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان
الله كما قال وعد الله المومنين والمومنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى
ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله فى مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من
العذاب كما يعطى اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتامله وان القران يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار
بالشفاعة فان الاستثناء الثانى ينادى على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين
على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغنى ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون فى النار و
هذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان لا نغفل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من
حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو فى سيفيه ومقاتلته بهما على ابن ابى طالب رضى الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا
الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا
تك فى مرية مما يعبد هولاء اى فلا تشك بعد ما انزل الينا عليك من هذه القصص فى سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله وعدة
بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم يريد ان حالهم فى الشرك مثل حال ابائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بابائهم
فسينزلن بهم مثله وهو استيناف معناه تعليل النهى عن المرية وما فى مما وكما يجوز ان يكون مصدرية وموصولة اى من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان
ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم اى حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى
وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه كملا وناقصا فاختلف فيه امن به قوم وكفر به قوم كما اختلف فى القران ولولا كلمة يعنى
كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضى بينهم وبين قوم موسى او قومك وهذه من جملة التسلية ايضا وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعنى وان كلهم اى وان جميع
المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام فى لما موطية للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود قرئ وان
كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرا ابى وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراة عبد الله مفسرة لها
وان كل الا ليوفينهم وقرا الزهرى وسليمان بن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملومين مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله
فسجد الملئكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر

في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر وامن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله
انه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القران اية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه
الاية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتها وروي ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق
رضي الله عنه فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم قري ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التا وعن ابي عمرو بكسر التا وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم
حروف المضارعة الا اليا في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرا فتمسكم النار بكسر التا وقرا ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البنا للمفعول من اركنه اذا اماله
والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى
زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي
ان الموفق صلى خلف الامام فقرا بهذه الاية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين
ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله
ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس
ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك
قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون قلوب الجهلاء فما ايسر ما
عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة
واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على
الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وقال سفين في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزايرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا
وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قاري على باب هولاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سيل
سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم اي فتمسكم النار
وانتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب
في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم فان قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له طرفي النهار
غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من اخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلوة الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر
والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف
النهار واوله واخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار وقري وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف
جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من اخر النهار
من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان يعطف على الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب
بها الى الله عز وجل في بعض الليل ان الحسنات يذهبن السيات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغاير بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما
ما اجتنبت الكباير والثاني ان الحسنات يذهبن السيات بان تكون لطفا في تركها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري
كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك

وتب الى الله فاتى عمر فقال له هل صليت العصر معنا قال نعم قال هي كفارة لك فقال هذا لخاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء
بما هو خاتمة التذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال عليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما
امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون
الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحة هذه
الحكاية ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولوا بقية اولوا فضل وخير
وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان
تذنبوا ثم تاتيني بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذووا ابقاء
على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله والبقية المرة من مصدره
والمعنى فلولا كان منهم اولوا مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من
القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان يكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا فان قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان
المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من
المحضضين على قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد الا القليل من الناجين معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا كان استثناء
متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد من الذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات
اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة
والثروة وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه
ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر فان قلت علام عطف
قوله واتبع الذين ظلموا قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو
عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فان قلت فقوله وكانوا مجرمين قلت على
اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك
ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون كان بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفي بظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى
ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا ان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون
يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا اخر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام
كقوله ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم
الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم
ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه وكذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره
وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبا نقص عليك
ومن انباء الرسل بيان لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكلا اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب

المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤادك زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق اي في هذه
السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون
وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم
واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما يعملون وقرئ تعملون بالتاء اي
انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب ولوط
وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم ۞ تلك اشارة الى ايات
السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة ايات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها
من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سالت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقد روي
ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف انا انزلناه انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال
كونه قرانا عربيا وسمي بعض القران قرانا لان القران اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون ۞ ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا تلتبس عليكم ولو
جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده
ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر في معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد
المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القران بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه
ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القران مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القران بنقص عليك كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص
هذا القران بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ
ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القران وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما نقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما
يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق
القصص قلت من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القران اذا قراه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه اية بعد
اية وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل
ايحائنا اليك من الغافلين عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت
مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب اخر
سوى التعريف فان قلت فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل او المفعول
من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا يكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف
يونس رويت فيه هذه اللغات الثلث ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس وانس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم يا ابت بالحركات الثلث فان قلت ما هذه التاء قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة
والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر قلت كما جاز في نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام
يفعة فان قلت فلم ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في اخره
فان قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال
الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين الياء واصلها

ان يحرك تخفيفا لانها حرف لين وأما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض عنه
لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوزن يا ابت قلت الياء والكسرة قبلها شيان والتاء عوض من احد الشيين وهو الياء والكسرة غير
متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء
ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل
ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة لغو وجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه من قرا بفتح التاء وضمها قلت
اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا ابي واما
من ضم فقد راى اسما في آخره تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابتُ كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة وقرى
اني رايت بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثنا عشر لئلا يلتقي ساكنان ورايت
من الرويا لا من الروية لان ما ذكره انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت اية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت
عليه وعلى الناس فان قلت ما اسما تلك الكواكب قلت روي جابر ان يهوديا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال خربان والطارق والذيال وقابس
وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السما وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها
لاسماوها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشر عصا طوالا كانت مركوزة
في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس
والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رويا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون
فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل
وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى تكرار رايت قلت ليس بتكرار
انما هو كلام مستانف على تقدير سوال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها سايلا عن حال رويتها فقال رايتهم
لي ساجدين فان قلت فلم اجريت مجرى العقلاء في رايتهم ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كانها عاقلة
وهذا كثير شايع في كلامهم ان يلابس الشي الشي من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب عليه السلام دلالة على ان يوسف
يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بابائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرويا بمعنى الروية الا انها مختصة بما كان
منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما قيل القربة من القربى وقرى رويا بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك ورياك بالادغام وضم
الراي وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا منصوب
باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة
معنى الفعل المضمن فيكون اكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم وحوا ولقوله لاقعدن
لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يومن ان يحملهم على مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتبا يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك بمثل
هذه الرويا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبريا شان كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته
عليك والاجتبا الاصطفا افتعال من جبيت الشي اذا حصلته لنفسك وجبيت الما في الحوض جمعته والاحاديث الرويا لان الرويا اما حديث نفس او ملك او شيطان
وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرويا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه

على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا
الا ترى الى قوله فباي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة
بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحاق بانجائه من
الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى
آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره
ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة وكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه
على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل وعلى آل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل
الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحايك ولا آل الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب على الاصالة ومن ثم يقولون
ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة وابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها في يوسف
واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سال عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبي صلى الله عليه وسلم خبر
يوسف وبغي اخوته عليه لما راى من بغي قومه عليه ليتاسى به وقيل اسماؤهم يهودا وروبيل وشمعون ولاوي وريالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد
واشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين
ويوسف عليهما السلام ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه وأخوه هو بنيامين وانما
قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه
من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا
كفاية فيهما ولا منفعة ونحن عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في
ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب وروى
النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما العامري عمته اي يتعمم عمته
اقتلوا يوسف من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين
فجعلوا آمرين ارضا ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم
وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان
الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال الله تعالى ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف
اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر
تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق
قائل منهم هو يهودا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم القوه في غيابت الجب في غوره وما غاب منه عن عين الناظر
واظلم من اسفله قال المنخل اذا انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابة
بالتشديد وقرا الجحدري غيبة والجب البئر لم تطو لان الارض تجب جبا لا غير يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق وقرئ
تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به

غرضكم فهذا هو الرأي ما لك لا تأمنّا قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام ويتمنّا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له
الخير ونحبّه ونشفق عليه وما وجد منّا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقت واراد وا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه
دليل على انه احس منهم بما اوجب على ان لا يأمنهم عليه نرتع نتسع في اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي وقرئ يرتع
ويلعب بالياء ويُرتع من ارتع ماشيته وقرا العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء فان قلت كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب قلت كان
لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته ليحزنني اللام لام
الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة اعتذر اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا
يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم يصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم ان الذئب قد شدّ على يوسف
فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذيب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة
القسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان
ما خاف من خطفة الذئب اخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون
ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حيوتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون
وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما دون الآخر قلت هو الذي
كان يغيظهم ويذيقهم الأمرّين فاعادوه آذانا صما ولم يعبأوا به ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر وازمعه فاجمعوا امركم وقرئ في غيابات
الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا
من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا
يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهودا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من
يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع
الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يونسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظنّ
انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهودا وكان يهودا ياتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرّد عن ثيابه
اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحاق واسحاق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاءه جبريل فاخرجه والبسه
اياه واوحينا اليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحي
اليه ليونسه في الظلمة والوحشة ويبشره بما يؤول اليه امره ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبرياء
سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم وبطول العهد المبدل للهيئات والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه
على يده ثم نقره فطنّ فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم انطلقتم به والقيتموه في غيابت الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب
وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش
لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على تصغير عشي لقيته عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا
ورواه ابن جني عشا بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي ان امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف
يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروي انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا
قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق

في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت
سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن
يجود وبنانه بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له وقرات عايشة كدب بالدال المهملة اي كدر وقيل طري وقال ابن
جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه
وروي ان يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال بالله ما رايت
كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلث ايات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا
ودليلا على براة يوسف حين قد من دبر فان قلت على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كذب كما يقال جاؤا على جماله
باحماله فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه سولت سهلت من السول وهو الاسترخا اي سهلت لكم انفسكم
امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحي اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر
او مبتدا لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر اجمل وفي قراة ابي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه
الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه وكان
يرفعهما بعصابة فقيل ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان
اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف
في الجب فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف عليه السلام
فارسلوا رجلا يقال له مالك ابن زعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالي فهذا من
اوانك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراة الحسن وغيره يا بشريّ بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي
لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيّديّ ومولىّ وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين
على غير حده الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا
غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب
وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة
ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما قطع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم
وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة
نقصانا ظاهرا او زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن وزنا لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون
ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين وكانوا فيه من
الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق فينتزعه
من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه
ابق فخافوا ان يخطروا بمالهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على
الموصول الا تراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو
العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد امن بيوسف ومات في حيوة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه

يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره ريان ابن الوليد وهو ابن ثلثين سنة واتاه الله العلم
والحكمة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايام فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى
اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا
وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ اَكْرِمِي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله تعالى انه ربي احسن مثواي والمراد تفقده بالاحسان
وتعهده بحسن الملكة حتى يكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل وامراة يراد هل تطيب نفسك بثوائك
عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في لامراته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله
فينفعنا فيه بكفايته وامانته ونتبنيه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس
في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمراة التي اتت موسى قالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي انه سالها عن نفسه
فاخبره بنسبه فعرفه وَكَذَلِكَ اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا
عليه العزيز كذلك مكنا له اي في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه وَلِنُعَلِّمَهُ من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد
عاقبته من علم وعمل وَاللهُ غَالِبٌ على امره على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره قد اراد اخوته ما ارادوا
ولم يكن الا ما اراد الله ودبر وَلَكِنَّ اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث وثلثون واربعون وقيل اقصاه
اثنتان وستون حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وَكَذَلِكَ نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان
امره وان الله اتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته اتاه الله الحكم في اكتهاله المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء
وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل
لمواقعته اياها وَغَلَّقَتِ الابواب قيل كانت سبعة قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهيت بمعنى تهيأت
يقال هاء يهيئ كجاء يجيء اذا تهيا وهيئت لك واللام من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله معاذا
انه ان الشان والحديث رَبِّي سيدي ومالكي يريد قطفير اَحْسَنَ مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح
الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيئ وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب هَمَّ بالامر اذا قصده وعزم عليه وقال
عمرو بن ضابئ هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه
سيبويه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عليه وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لَوْلَا اَنْ رَاَى برهان ربه
جوابه محذوف تقديره لولا ان راى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته فان
قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به
والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب
المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو
كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عبادنا المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة
القتل ومشافهته كانه شرع فيه فَاِنْ قُلْتَ قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قُلْتُ الامران جايزان ومن حق القاري اذا
قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما براسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدي قوله وهم بها لولا ان راى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين
فَاِنْ قُلْتَ لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه وهم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قُلْتُ لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط

صدر الكلام وهو مع حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت فلم جعلت لولا
متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا
من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت
به وهم بها وكان اغفاله الغاء له فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه
وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان راي برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده وقد
فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجالس الجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا
اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت
شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف
لا تكن كالطاير كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راي
فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فلم ينته ثم راي فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان
يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل راي تمثال العزيز وقيل قامت المراة الى صنم كان هناك
فسترته فقالت استحيي ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من السميع البصير العليم بذوات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو و
الجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت
عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على ادم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون عليهم السلام وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثني
عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولى القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء
فيما انزل من الكتب الاولين ثم في القران الذي هو حجة على ساير كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان
صدق في الاخرين كما جعله لجده الخليل ابرهيم عليه السلام وليقتدي به الصالحون الى اخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله
اوليك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزل الله السورة التي هي احسن القصص في القران العربي المبين ليقتدي بنبي من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي
حل تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلث كرات ويصاح به من عنده ثلث صيحات بقوارع القران وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطاير
الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم
واحدهم حدقة واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف
منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة السيد والفحشاء من الزنى انه من عبادنا المخلصين
الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة وغير ذلك وقوله من
عبادنا معناه بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابرهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا
الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراه لتمنعه
الخروج فان قلت كيف وحد الباب وقد جمعه في وغلقت الابواب قلت اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص فقد روي كعب انه لما هرب
يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته
تمنعه والفيا سيدها وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المراة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن له سيدا على الحقيقة قيل
الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمراة لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت

فيما عرضها ومماتبرية ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها كرها لما ايست من مواتاته
طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر
يوسف وانه اراد بها سوءا قلت قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب
الاليم الضرب بالسياط ولما اغرت وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ
اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان
جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا يشعر فاغضبه الله
ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها في المهد صبيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف و
صاحب جريج وعيسى عليه السلام فان قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي
شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لانها نوع من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان
قميصه فان قلت ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتبذت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان
تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعة عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم
قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر
وعن ابن ابي اسحاق انه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئا بسكون العين فان قلت كيف جاز الجمع بين
ان الذي هو للاستقبال وبين كان قلت لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان
تمتن علي امتن عليك فلما راى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف
مِنْ كَيْدِكُنَّ الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك
يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما
اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم يُوسُفُ حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن
للحديث وفيه تقريب له وتلطيف بمحله أَعْرِضْ عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري انت لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال
خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة وقال
نسوة وقال جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه
غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امراة العزيز يريدن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب
فَتَاهَا غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي شغفها حبا خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة
يقال لها لسان القلب قال النابغة وقد حال هم دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الاصابع وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران
قال كما شعف المهنوءة الرجل الطالي وحبا نصب على التمييز فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ في خطأ وبعد عن طريق الصواب بِمَكْرِهِنَّ باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن
امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها
أَرْسَلَتْ اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت تلك الهيئة وهي قعودهن متكئات و
السكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا
يبعد ان تقصد المكر به وبهن فتضع الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن

الحناجر توبخهن بثين عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكيون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكيا واتيتهن السكاكين ليعالجن
بها ما ياكلن وقيل متكا طعاما من قولك اتكانا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكاة يتكى عليها قال جميل فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال
من قلله وعن مجاهد متكا طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكى على المقطوع بالسكين وقري متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك
لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقري مُتْكًا وهو الاترج وانشد فاهدت متكا لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح
وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجا وموزا
وبطيخا وقيل اعترت لهن ما يقطع من متك الشي بمعنى بتكه اذا قطعه وقرا الاعرج متكا مفعلا من تكي ياتكى اذا اتكا اكبرنه عظمنه وهبن ذلك الحسن الرايع والجمال
الفايق وقيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السما وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السما فقلت
لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يري تلالو وجهه على الجدران كما يري نور
الشمس من الما عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه ادم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والها للسكت
يقال اكبرت المراة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكان ابا الطيب المتنبي اخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال
ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثنا
تقول اسا القوم حاشا زيد قال حاشا ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم وهو حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراة فمعنى حاشا الله براة
الله وتنزيه الله وهي قراة ابن مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة البراة ومن قرا حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كانه قال براة ثم قال لله لبيان من يبرى وينزه
والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراة ابي السمال حاشا لله بالتنوين وقراة ابي عمرو حاش لله بحذف الالف الاخرة وقراة الاعمش حش لله بحذف الالف الاولى
وقري حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة اتبعت الالف في الاسقاط وهو ضعيفة لما فيها من التقا الساكنين على غير حده وقري حاشا الاله فان قلت فلم جاز
في حاشا لله ان لا ينون بعد اجرايه مجري براة الله قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا تري الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله
وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الالف الى اليا مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله واما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من
سو فبالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله مَا هَذَا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن
بها الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها
الا لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشياطين ولا اجمع للخير من الملكية الا على الفية الخاسية من المجبرة من تفضيل الانسان على
الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقايق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القران ومنها قوله ما هن
امهاتهم ومن قرا على سليقته من بني تميم قرا بشر بالرفع وهي في قراة ابن مسعود وقري ما هذا بشري اي ما هو بعبد مملوك لليم إِنْ هَذَا الا ملك كريم يقول هذا بشري
اي حاصل بشري بمعنى هذا مشتري وتقول هذا لك بشري اي بكرا والقراة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقته بشر الملك قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا
بمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني
الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به فاستعصم بناء مبالغة يدل على
الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الراي واستفحل الخطب وهذا بيان لما
كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شي انور منه على انه بري مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان فان قلت الضمير في امره راجع الى الموصول
والمعنى ما امر به فحذف الجار كما في قولك امرتك الخير ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما امر به فحذف الجار كما في قولك امرتك الخير ويجوز ان يجعل ما مصدرية
فيرجع الى يوسف ومعناه ولين لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه قري وليكونن بالتشديد والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك

لا يكون الا في الخفيفة وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن
والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت
المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه وآثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها
وَإِلَّا تَصْرِفْ عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء
اليه أَصْبُ اليهن امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ أَصَبَّ اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين
لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عني
فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف السَّمِيعُ لدعوات الملتجين اليه الْعَلِيمُ باحوالهم وما يصلحهم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء
اي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله مِنْ بَعْدِ ما رأوا الآيات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة
والغارب وكان مطواعا لها وجميلا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته وذلك لما ايست
من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم
حَتَّىٰ حِينٍ الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرأ
عتى حين فقال من اقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله عز وجل انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة
هذيل والسلام مَعَ يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فَتَيَانِ عبدان للملك خبازه
وشرابيه رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف إِنِّي أَرَانِي يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية أَعْصِرُ خَمْرًا يعني عنبا تسمية
للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا مِنَ الْمُحْسِنِينَ من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها رأياه يقص
عليه بعض اهل السجن رؤياه فيأولها له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا
الغمة بتاويل ما رأينا ان كانت لك يد في تاويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن
ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك واحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك
فمن انت يا فتى قال يوسف ابن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحاق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت
السجن شئت وروي ان الفتيين قالا انا لنحبك من حين رأيناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي
فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما له
ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق
راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتاويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري
مجرى اسم الاشارة في نحوه قيل نبئنا بتاويل ذلك لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار
بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك
تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا
استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان
العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بِتَأْوِيلِهِ ببيان ماهيته وكيفيته لان
ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذَٰلِكُمَا اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي واوحى به الي ولم اقله

عن تكهن وتنجم إِنِّي تَرَكْتُ يجوز ان يكون كلاما مبتدا وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحي الي لاني رفضت ملة اولئك وَاتَّبَعْتُ ملة الانبياء
المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يومنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالاخرة وان
غيرهم قوما مومنون بها وهم الذين على ملة ابراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكباير التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء
ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما راوا الايات الشاهدة على برائته وان ذلك ما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء
وذكر ابائه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحي اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله مَا كَانَ لَنَا
ما صح لنا معشر الانبياء أَنْ نُشْرِكَ بالله اي شي كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا
وعلى الناس اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه وَلَكِنَّ اكثر الناس المبعوث اليهم لَا يَشْكُرُونَ فضل الله فيشركون ولا ينتبهون
وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لساير الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس
لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول
يا سارق الليلة وكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبك يا صاحبي
الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صاحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن
كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة ءَأَرْبَابٌ متفرقون يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول اي ان تكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا
خير لكما ام يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام ما يعبدون
خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية الهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات
تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا اي بتسميتها مِنْ سُلْطَانٍ من حجة إِنِ الْحُكْمُ في امر العبادة والدين الا لله ثم
بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا الا اياه ذَلِكَ الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين أَمَّا أَحَدُكُمَا يريد الشرابي فيسقي ربه سيده وقري فيسقي ربه
اي يسقى ما يروي به على البناء للمفعول روي انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلثة فانها ثلثة ايام
تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال ثلثة ايام ثم تخرج فتقتل قُضِيَ الْأَمْرُ قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما
وشانكما فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله وظنا ان
ما رايا في معنى ما ترائ بهما وكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما عاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه
من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الاخر وقيل جحدا وقالا ما راينا شيا على ما روي انهما تحالماه فاخبرهما ان ذلك كاين صدقتما او كذبتما ظَنَّ انه ناج
الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذْكُرْنِي عند ربك
صفني عند الملك وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة فَأَنْسَاهُ الشيطان فانسى الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر
الله حين وكل امره الى غيره بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف يقدر الشيطان على الانساء قلت
يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشي من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره فاما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من اية او
ننسها فان قلت ما وجه اضافة الذكر الي ربه اذا اريد به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه في قولك فانساه الشيطان
فان قلت لم انكر على يوسف عليه السلام الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال عز وجل وتعاونوا على البر والتقوي وقال حكاية عن عيسى عليه السلام
من انصاري الى الله وفي الحديث والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم من فرج عن مومن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الاخرة وعن عايشة رضي
الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ياخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية

والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت
لما اصطفى الله الانبيا على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن الاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلا ببلا الا الى ربه ولا يعتضد
الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب لاغنيه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قراها
ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس لما دنا فرج يوسف راى ملك مصر الريان بن الوليد رويا عجيبة هالته اي ملك الريان بن الوليد راي سبع بقرات سمان
خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان قلت هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز
وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمان قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن
ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع
لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلثة فرسان وخمسة اصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى
الاسما فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت ذلك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل
وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغنا عما ليس باصل وقد وقع الاستغنا بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز
بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفا وافعل وفعلا لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دابهم حمل النظير على النظير والنقيض على
النقيض فان قلت هل في الاية دليل على ان السنبلات اليابسات كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل
الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله واخرى يابسات على سنبلات خضر فيقتضي ان
تدخل فيكون مجرور المحل قلت يودي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان تدخل في حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الاخر يقتضي ان تكون
غير السبع بيانه تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت
عنده سبعة رجال قيام واخرين قعود تدافع ففسد يا ايها الملا كانه اراد الاعيان من العلما والحكما واللام في قوله للرويا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه
من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تاخر عنه معموله فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو
عابر للرويا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرويا خبر كان كما تقول فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا اخر او حالا وان يضمن
تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرويا وحقيقة عبرت الرويا ذكرت عاقبتها واخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى
تبلغ اخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرويا اذا ذكرت مالها وهو مرجعها وعبرت الرويا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورايتهم ينكرون عبّرت الرويا
بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب رايت رويا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبّارا اضغاث احلام تخاليطها او
اباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى
من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس
عمايم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهولا ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون
قد قص عليهم مع هذه الرويا رويا غيرها وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تاويل فان
التاويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل الاحلام بنحارير وقري وادّكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن
واذكر بالذال اي يذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في روياه واعضل
على الملا تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله رويا وروياه صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرا الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة والامة

النعمة قال عدي ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ امه اي بعد نسيان يقال امه يأمه امها اذا
نسي ومن قرا بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم بتاويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن انا آتيكم بتاويله فارسلون فابعثوني اليه لاساله
ومروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك
لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس
على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون اي فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك تزرعون
خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه
والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من المامورين اي دائبين اما على
تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب فذروه في سنبله لئلا يتسوس ويأكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن
تحصنون تحرزون وتخبأون يغاث من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا يعصرون بالياء والتاء
يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني
للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان
اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تاول البقرات السمان والسنبلات الخضر
بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من
جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك
من جهة الوحي قلت معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي انما تانى وتثبت
في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته
لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق عليه ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب
وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارين
به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف
والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت
لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان
السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه واراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وقص الحديث حتى تتبين له براءته بيانا مكشوفا
يتميز فيه الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته بعد ما صنعت به ونسبت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر
المقطعات ايديهن ان ربي ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما قرف به
او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله تعجبا من
عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امراة العزيز الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من
حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة
واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت
المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان ندق في فروة من ثبتت نزاهته ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم

الجزء الثالث عشر

العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل والمفعول على معنى وانا غايب عنه خفي عن عينه او وهو غايب عني خفي عن عيني ويجوز ان
يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخاينين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامراته
في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانة امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الايات على حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خاينا لما هدى الله
كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه ليلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
ادم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابري نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا
ازكيها ولا يخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال
ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالمليكة ويجوز
ان يكون ما رحم في معنى الزمان الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن
رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امراة العزيز اي
ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجيت بالصحيح والصدق فيما سيلت وما ابري نفسي مع ذلك من الخيانة فاني خنته
حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا
رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم ۝ استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان قلت كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل
على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قايدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال
فماذا تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا تقديم القران وتاخير ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله فسله ما بال النسوة
اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال ذلك لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت امراة العزيز
ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتماديهم على بهت الله ورسله يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد
منه ما لم يحتسب قال ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين ۝ موتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من
السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى
وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره
واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا وكلمه بها فاجابه
بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رويای منك قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على
الهيات التي راها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فياتيك الخلق من النواحي ويمتارون لك ويجتمع لك من الكنوز ما لم
يجتمع لاحد قبلك اجعلني على خزاين الارض ولني خزاين ارضك اني حفيظ عليم ۝ امين احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة
والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله يبعث الانبياء الى
العباد ولعلمه ان احدا لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني
على خزاين الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته قلت روى مجاهد
انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جاير وكان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم
النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه
في كل ما راى فكان في حكم التابع والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوا منها

حيث يشاء قري بالنون والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوءا له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكه وسلطانه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه
ورداه بسيفه ووضع له سريرا مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابائي
فقال فقد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها فقال
اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرايم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يده الملك وكثير من الناس وباع من اهل
مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا
فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل
مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل
يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر
المحسنين اي اجورهم في الدنيا ولاجر الاخرة خير لهم قال سفيان بن عيينة المومن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الاخرة
من خلاق وتلا هذه الاية لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم
بشانه ولبعد حالته التي بلغها من الملك والسلطان عن حالته التي فارقوه عليها طريحا في البير مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم
ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من
ذهب وعلى راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوايج وانما عرفهم لانه فارقهم
وهم رجال وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم وكان يتامل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم
اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاووا له من الميرة وقري بجهازهم بكسر الجيم قال ايتوني باخ لكم من ابيكم
لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسلة روي انه لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام
رعاة اصابنا الجهد فجينا نمتار فقال لعلكم جيتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب
قال كم انتم قالوا كنا اثنا عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم
لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وايتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم
حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم واصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم ولا تقربون فيه وجهان احدهما
ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم عندي كانه قيل وان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان تكون بمعنى النهي سنراود عنه اباه
سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى
لفتيته وقري لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق
التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال
والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا
يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا
انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما يحتاج اليه وقري يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او
يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه هل امنكم عليه يريد قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يومنني من مثل ذلك ثم قال
فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين توكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كذلك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا وقري حفظا وقرا

الاعمش فالله خير حافظا وقرا ابو هريرة خير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وقري ردت الينا بالكسر على ان كسرة الدال
المدغم نقلت الى الراء كما قيل قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد مَا نَبْغِي للنفي اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا
لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبتغي شيئا وراء ما
فعل بنا من الاحسان او على الاستفهام يعني اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي على المخاطبة ليعقوب معناه اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان
او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجملة بعدها معطوفة
عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها وَنَمِيرُ أَهْلَنَا في رجوعنا الى الملك وَنَحْفَظُ أَخَانَا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب اخينا
وسق بعير زائدا على وساق اباعرنا فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا
يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط فان قلت هذا اذا فسرت البغي بالطلب فاما اذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا
ردت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي قلت اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت
ويجوز ان يكون كلاما مبتدا كقولك وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي ان لا اقصر ويجوز ان يراد
ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رايهم وانهم
يصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم او يكون ذلك اشارة
الى كيل بعير اي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر
لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ منافي لحالي وقد رايت منكم ما رايت ارساله معكم حَتَّى تُؤْتُونِ موثقا حتى تعطوني من الله حتى تعطوني ما اتوثق
به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه لَتَأْتُنَّنِي
به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء
قلت ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتاتنني به في تاويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من
العلل الا لعلة واحدة وهو ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تاويله بالنفي ونظيره من
الاثبات المتاول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت الا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وقيل رقيب مطلع وانما نهاهم ان
يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وبشارة حسنة وقد اشتهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم وكانوا مظنة لطموح الابصار
اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم
على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى
لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت وهل للاصابة بالعين وجه تصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء والاعجاب به
نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر
العين كما قال تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعوذ الحسن والحسين اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين
لامة وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله ثم قال ولما دخلوا من
حيث امرهم ابوهم اي متفرقين مَا كَانَ يغني عنهم راي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم
بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم إِلَّا حَاجَةً الا استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قضاها وهي
شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي

انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين
وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم هذا وحيدا فاجلسه معه على مائدة وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم
بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال اتحب ان
اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال انى انا اخوك فَلَا تَبْتَئِسْ فلا تحزن
بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود
فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل
الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال
افعل السِّقَايَةَ مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب يسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا
يشبه المكوك وقيل هو المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يشرب بها الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر
ثُمَّ أَذَّنَ مؤذن ثم نادى مناد يقال اذنه اعلمه واذّن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم
فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك وَالْعِيرُ الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير
واصلها فعل كسقف وسُقف فعل بها ما فعل ببيض وغير والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرا ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل
فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن وقرا ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا
وقرئ صواع وصاع وصوع وصُوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل أؤديه الى من جاء به و
اراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله تَاللَّهِ قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم و
امانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة لئلا يتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي
وجدوها في رحالهم وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا فَمَا جَزَاؤُهُ الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ
في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في ال يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه
وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه او فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه
وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدا والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع
هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر
ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم
ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فَبَدَأَ باوعيتهم قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدا
بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا
فاستخرجوه منه وقرا الحسن وُعاء اخيه بضم الواو وهو لغة وقرا سعيد بن جبير إعاء اخيه بقلب الواو همزة فَإِنْ قُلْتَ لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت
قالوا رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل كان يوسف عليه السلام يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية
وفيما يتصل بهم منه صواعا كَذَلِكَ كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه مَا كَانَ ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان
له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ اي ما كان ياخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه
نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ من نشاء في العلم كما رفعنا درجته يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او وفوق

العلما كلهم عليهم هو دونه في العلم وهو الله عز وعلا فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن
لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم
بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق
لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب هذا وحكم الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله تعالى لايوب
عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وقول ابراهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرايع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد
وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا اخ له ارادوا
يوسف روي انهم لما استخرج الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حيا واقبلوا عليه وقالوا له ماذا صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال
لنا منكم بلا متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم علينا البلا ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في
رحالكم واختلفوا فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ في صباه صنما لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا
من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السايل وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها الاكابر ولده فورثها اسحاق
ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة
فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحاق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها
حتى ماتت فَاَسَرَّهَا اضمار على شريطة التفسير يفسره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطايفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر
الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير يريد
القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي
سرقة وليس الامر كما تصفون استعطفوه باذكارهم اياه حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان
ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستانس باخيه فَخُذْ اَحَدَنَا مكانه فخذه بدله على وجه الاسترهان والاستعباد انا نريك من المحسنين الينا فاتمم احسانك
او من عادتك الاحسان فاجر الى عادتك ولا تغيرها مَعَاذَ اللّٰهِ هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده
فلو اخذنا غيره كان هذا ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة
علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فاضيف المصدر الى
المفعول به وحذف من واذا جوابهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا استياسوا وزيادة السين والتا في المبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي على معنيين
يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل وهم
نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال اني اذا ما القوم كانوا انجية ومعنى خلصوا
اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم
لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم
كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كَبِيرُهُمْ في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والراي وهو يهوذا مَا فَرَّطْتُمْ
في يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتدا وخبره
الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم
من قبل في يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فَلَنْ اَبْرَحَ الْاَرْضَ

فلن افارق الارض مصر حتى يأذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو
خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالحق والعدل وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقنا لان الصواع
استخرج من وعائه ولا شي ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق وما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرا
سرق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر القرية التي كنا فيها هي مصر اي
ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام وقيل من اهل صنعا ومعناه فرجعوا الى
ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادري ذلك الرجل ان السارق يوخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم بهم جميعا
بيوسف واخيه وروبيل او غيره انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤا
به يا اسفى اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمد فيملح ويبدع
ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبا بنبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه
راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى فان قلت كيف تأسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء
الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا
ولم تنسني اوفى المصيبات بعده ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده وكان الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه
اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت
فراق يوسف الى وقت لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف
قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت
الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده
ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم
الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال
ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسين رحمة الله عليه انه بكى على ولده وغيره فقيل له في ذلك فقال
ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب عليه السلام فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء
اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ باكظامه تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن
بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال
اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرا الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب البث اصعب الهم
الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه امره وابثه اياه ومعنى انما اشكو اني لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا
اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال له يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ
ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى الخلق قال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفر لي فغفر له وكان بعد ذلك اذا سئل
قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحى الله الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين
فاصنع طعاما وادع اليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن

ظني به انه يأتيني بالفرج من حيث لا احتسب وروي انه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرأ الحسن وحزني بفتحتين
وحزني بضمتين قتادة فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما
احس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا المشاعر الانسان الحواس والجواس من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من روح الله
بالضم اي من رحمته التي يحيى بها العباد الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته
وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا
بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة
لا تلزمهم صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا عليه السلام وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها
كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين
شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله تعالى لا يتصدق انما يتصدق
الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي
يجب ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه
لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة وكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا في الدين لا معاتبة تثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك
المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطأها واسجحها ولله حصى عقولهم
ما ارزنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا الجاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم
صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم والرزانة روي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل
ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه
ورجلاه فرمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي
الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا
به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك
والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا فان قلت
ما فعلتم باخيه قلت تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم
له بانواع الاذى قرئ اإنك على الاستفهام وانك على الايجاب وفي قراءة ابي اإنك او انت يوسف على معنى اإنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات فان قلت كيف عرفوه رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه يوسف مع علمهم بان ما
خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى
رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها يشبه الشامة البيضاء فان قلت قد سألوه عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه على ان
اخاه كان معلوما لهم قلت لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سألوه عنه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجرهم
فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين لقد آثرك الله علينا اي فضلك الله علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان شأننا وحالنا انا كنا
خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك لا تثريب عليكم اليوم لا تأنيب عليكم ولا عتب واصل التثريب من الثرب
وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده

فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب ماء الوجوه فان قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم
وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدا فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا
ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم و
روي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت رسول الله فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا
اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا
بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي قيل هو القميص المتوارث الذي
كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبريل عليه السلام ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي يات بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء
محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او يات الي وهو بصير ويعضده قوله واتوني باهلكم اجمعين اي ياتني ابي ويأتني اله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال انا
احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا فصلت العير خرجت من عريش
مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرا ابن عباس فلما انفصل العير قال لولد ولده ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف
اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في
شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره
ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات القاه طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام او القاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا
ارتجعه الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تياسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدا لم يقع عليه القول ولك ان توقعه عليه وتريد قوله انما اشكو
بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه سال البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة سوف
استغفر لكم ربي قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام
على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف
وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحي اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد علتهم الكابة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا
فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ الجهد منهم
وظنوا انها الهلكة نزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم فلما دخلوا على يوسف
قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومايتي راحلة ليتجهز بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي
يتوكا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف
قال له لما التقيا يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا
مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وخرجوا منها مع موسى عليه السلم والمقاتلة منهم ستماية الف وخمسماية وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية
الف الف ومايتي الف اوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن ابي اسحاق كانت امه تحيا وقيل هما ابوه وخالته لما ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين
لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحاق فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل
دخولهم مصر قلت كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم فدخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ولما دخل مصر وجلس في مجلسه
مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك

التي يحملها على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآوى اليه ابويه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت بم تعلق المشية قلت
بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن في دخولهم وكانه قيل اسلموا وآمنوا في دخولكم ان شاء الله ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما ان شاء الله
فلا تعلق المشية بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض
بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتاخير وان موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب
وما ادري ما اقول فيه وفي نظايره فان قلت كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل
اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه خروا
لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا ايضا فيه نبوة يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه وقال اسيئي بنا او احسني لا ملومة من البدو من البادية لانهم كانوا اهل
عمد واصحاب مواش يتنقلون في المياه والمناجع نزغ افسد بيننا واغرى واصله من نخس الرايض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه لطيف
لما يشاء لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليهما السلام وطاف به في خزائنه فادخله في خزائن الورق
والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال
امرني جبريل عليه السلام قال او ما تساله قال انت ابسط اليه مني فسله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذيب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب
اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحاق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم
امره وعلم انه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدايم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر
وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا من الراي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل
الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرايم وميشا وولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم
يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وابائه الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم من في من الملك ومن تاويل الاحاديث للتبعيض لانه لم يوت الا
بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التاويل انت وليي انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب
للوفاة على حال الاسلام ولان يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون تمنيا للموت على ما قيل والحقني بالصالحين
من ابائي او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسالة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا احييت سننا وامت
بدعا وفي حيوتك خير وراحة للمسلمين فقال فلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله عينه وجمع له امره قال توفني مسلما والحقني بالصالحين فان قلت علام انتصب فاطر
السموات قلت على انه وصف لقوله رب كقولك اخا زيد حسن الوجه او على النداء ذلك اشارة الى ما سبق من نبإ يوسف والخطاب لرسول الله ومحله الابتداء
وقوله من انباء الغيب نوحيه اليك خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة
الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اجمعوا امرهم وهو القاؤهم اخاهم في البير كقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على احد
من المكذبين انه لم يكن من حملة هذا الحديث واشباهه ولا لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي اعجز
حملته ورواته لم تقع شبهة في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية
ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوايل وما اكثر الناس يريد العموم كقوله ولكن اكثر الناس لا
يومنون وعن ابن عباس اراد اهل مكة اي وما هم بمومنين ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسالهم على ما تحدثهم به وتذكرهم
ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطي حملة الاحاديث والاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله من
آية من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقري والارض بالرفع على الابتداء

ويمرون عليها خبره وقرا السدي والارض بالنصب على ويطوون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض والمراد ما يرون
من اثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن اكثرهم في اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن وعن الحسن هم اهل
الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق هذه سبيلي هذه
السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله ادعو الى الله على بصيرة اي ادعو الى دينه
مع حجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه يريد ادعو اليها انا ويدعو اليها من اتبعني عطفا على انا اخبارا مبتدا بانه ومن
اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة للرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله وانزهه من الشركاء الا رجالا لا ملائكة
لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امراة وقيل في سجاح المتنبية ولم تزل انبياء الله ذكرانا وقرئ نوحي اليهم
بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة ولدار الاخرة ولدار الساعة او الحال الاخرة خير للذين
اتقوا للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ افلا يعقلون بالتاء والياء حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استياسوا عن النصر وظنوا انه قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم لقولهم رجاء صادق
ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتامله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا
ان لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا
وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة
وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجح احد الجائزين على الاخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه
متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا او ظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل
في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرا مجاهد
كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به من النصرة اما على تاويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا الموعد
اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا وقرئ هذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم
كذبوهم في موعدهم قرئ فننجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه فنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرا ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المومنون
لانهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين والضمير في قصصهم للرسل وينصره قراءة من قرا في قصصهم بكسر
القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته فان قلت فالام يرجع الضمير في ما كان حديثا يفترى فيمن قرا بالكسر قلت الى القران اي ما كان القران حديثا يفترى
ولكن كان تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون يستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد
ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم
سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما بسم الله الرحمن الرحيم
تلك اشارة الى ايات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الايات ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من القران كله هو الحق الذي
لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة الله مبتدا والذي خبره
بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الايات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الايات رفع السموات بغير عمد
ترونها كلام مستانف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة ترونه وقرئ عمد بضمتين يدبر الامر امر ملكوته وربوبيته يفصل
الاية في كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقرا الحسن ندبر بالنون جعل فيها زوجين اثنين

خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدّها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير
وما اشبه ذلك من اصناف المختلفة يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرئ يغشّي بالتشديد قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ بقاع مختلفة مع
كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر
مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة
الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروايح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف وقطعا متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات
وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وقرئ بالضم فالكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس
تسقى بالتاء والياء وَنُفَضِّلُ بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا فِي الْأُكُلِ بضم الكاف وسكونها تَعْجَبْ يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان
يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدّد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الْإِعَادَةُ اهون شيء عليه وايسره وكان انكارهم احرى بان من الاعاجيب أَئِذَا كُنَّا الى
اخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله ائنا لفي خلق جديد أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بربهم اولئك
الكاملون المتمادون في كفرهم وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ونحوه لهم عن الرشد اغلال واقياد او هو من جملة الوعيد
بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم
المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم ان يعتبروا بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة بوزن السمرة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها
ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بفتحتين لاتباع الفاء والعين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات
بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين
لانفسهم وفي وجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا
عفو الله وتجاوزه ما هنا احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد لَوْلَا أُنْزِلَ عليه اية من ربه لم يعتدوا بالايات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنادا فاقترحوا نحو ايات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا
كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية اية كانت والاية كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت
بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي اية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم
الى الله بوجه من الهداية وباية خصّ بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في ايات مخصوصة ووجه اخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك
ايات ويعاندون فلا يهمنّك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء
وهو الله تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر ايات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاء كل منذر ايات خلاف ايات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة
الربانية ولو علم في اجابتهم الى خير او مصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق
يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره اللَّهُ يَعْلَمُ يحتمل ان يكون كلاما مستانفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لها على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في ما
تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن
وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة وَيَعْلَمُ ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وَمَا تَزْدَادُ
اي تاخذه زائدا يقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد
فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته
وانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة رحمه الله والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان

بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرمًا ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء
من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وازدياده فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن
رحمه الله الغيضوضة ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام بمقدار
بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات
المخلوقين وتعالى عنها سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمة
ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد فان قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء
المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على
مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله تكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر
ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملايكة يعتقب في حفظه وكلائه والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون
ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرا به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفّاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه
يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه
والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسالتهم ربهم
ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من
امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم
من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم خوفا وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما
ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه
في نفسه خوف وطمع وعلى ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال
ابو الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف
ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به السحاب اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة و
سحاب ثقال كما تقول امراة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان
الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله اللهم
لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملايكة موكل بالسحاب معه
مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملايكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم
والملائكة من خيفته ويسبح الملايكة من هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال
وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا اياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلايق بقولهم من يحيي العظام
وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملايكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله حين وفد عليه
مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتلته اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام من
حديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحّل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه

الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة
من حيث لا يحتسبون وقرأ الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذيب اي اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون
مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى
قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه دعوة الحق فيه وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه
في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كان
مصلحة له وكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني ان تضاف
الى الحق الذي هو الله عز وجل على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين
بما قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه
بقوله اللهم اخسفهما بما شيت فاجيب فيهما وكانت الدعوة دعوة حق واما على الوجه الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة
دعوة رسول الله ان دعا عليهم فيهم والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه
الا استجابة كاستجابة باسط كفيه الى اي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر
ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد
ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيا ولم تبلغ طلبته من شربه وقري تدعون بالتاء كباسط كفيه بالتنوين الا في ضلال
الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم ولله يسجد اي ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاؤا
او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وتنقاد له ظلالهم ايضا حيث تتصرف على مشيته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال وقري بالغدو والايصال من
آصلوا اذا دخلوا في الاصيل قل الله حكاية لاعترافهم وتاكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات السبع لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله كقوله قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه
واستيثاقا منه ثم يقول له فليلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اي ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون ان ينكروه
أفاتخذتم من دونه اولياء ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب
الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعونه لغيرهم فقد اثرتموهم على الخالق الرازق
المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار خلقوا صفة لشركا يعني انهم لم يتخذوا لله شركا خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم
خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هولاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم
اتخذوا له شركا عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له
شريك في الخلق ولا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل
وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع
وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والالات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه الباس الشديد لكفى به وان ذلك ماكث في الارض
باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى اثاره في العيون والبيار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه
الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب فان قلت لم نكرت
الاودية قلت لان المطر لا ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض فان قلت فما معنى قوله بقدرها قلت بمقدارها

الذي عرفه الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للتنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض
الامطار والسيول الجواحف فان قلت فما فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع واما ما ينفع
الناس لان المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة
جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء في ذكر الآجر او قد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية اي ومنه
ينشا زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفوه السيل اي يرمي به وجفات القدر بزبدها واجفا السيل
واجفل وفي قراءة روبة بن العجاج جفالا وعن ابي حاتم لا يقرا بقراءة روبة لانه كان ياكل الفارة وقرئ يوقدون بالياء اي يوقد الناس للذين استجابوا اللام متعلقة
بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمومنين الذين استجابوا والكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو ان
لهم كلام مبتدا في ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستانف والحسنى مبتدا خبره للذين استجابوا والمعنى
لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو مع ما في حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء دخلت همزة
الانكار على الفاء في قوله افمن يعلم لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب
كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدا واولئك
لهم عقبى الدار خبره كقوله تعالى والذين ينقضون عهد الله اولئك ويجوز ان يكون صفة لاولي الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين
العباد تعميم بعد تخصيص ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المومنين الثابتة بسبب الايمان انما المومنون اخوة
بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بينهم بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم و
شهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة عن الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه
بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من
المحسنين ويخشون ربهم اي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب
في النفوس والاموال ومشاق التكليف ابتغاء وجه ربهم لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء
كقوله وتجلدي للشامتين اريهم اني لريب الدهر لا اتضعضع ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله فما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد
بكاي زندا وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المومن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل مما رزقناهم من الحلال لان
الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرءون بالحسنة السيئة
ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان
اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله ان يكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها جنات
عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء
للمفعول وقرا ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح اعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة وآباؤهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم
وامهاتهم سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم ومسلمين فان قلت بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون
هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله بما قد ارى فيها اوانس بدنا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي قبور الشهداء على راس كل حول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم من بعد

مِيثَاقِهِ من بعد ما اوثقوه من الاعتراف والقبول سُوءُ الدَّارِ يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوء عذابها
الله يبسط الرزق اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم فَرِحُوا بما بسط لهم في الدنيا فرح بطر واشر لا فرح
سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الاخرة وليس الا شيا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات او شربة سويق ونحو ذلك
فان قلت كيف طابق قولهم لولا انزل عليه اية من ربه وقوله ان الله يضل من يشاء قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الايات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوتها نبي قبله وكفى بالقران وحده اية وراء كل اية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوها كان اية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار
وكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم اِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ من كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت
كل اية وَيَهْدِي إِلَيْهِ من كان على خلاف صفتكم مَنْ أَنَابَ اقبل الى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير الَّذِينَ آمَنُوا بدل من اناب وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته
بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقران لانه معجزة بينة تسكن القلوب
وتثبت اليقين فيها الَّذِينَ آمَنُوا مبتدا وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف اي تطمئن القلوب قلوب الذين امنوا وَطُوبَى مصدر من طاب
كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن ماب بالرفع والنصب تدل على محليها
واللام في لك للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرا مكوزة الاعرابي طيبى لهم بكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كَذَلِكَ
ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على ساير الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها
امم كثيرة فهي اخر الامم وانت خاتم الانبياء لِتَتْلُوَ عليهم الذي اوحينا اليك لتقرا عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وَهُمْ يَكْفُرُونَ وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ
الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القران المعجز المصدق لساير الكتب عليهم قُلْ هُوَ رَبِّي الواحد المتعالي
عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم وَإِلَيْهِ مَتَابِ فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو
ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى فتسمع وتجيب لكان هذا القران لكونه غاية في
التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك
من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله من القران وقيل معناه ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما امنوا ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرانك الجبال عن مكة حتى يتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطايع كما سخرت لداود
ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث
لنا به رجلين او ثلثة ممن مات من ابائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير وعجا وزعقا وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون
بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الارض اي شققت فجعلت انهارا وعيونا بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا على معنيين
احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الايات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجيهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه
بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله يعني مشية الالجاء والقسر لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل هي لغة قوم
من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم
بن وثيل الرياحي ~ اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني ~ الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم ~ ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا افلم يتبين وهو
تفسير ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى
يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلايله ودقايقه خصوصا عن القانون الذي اليه
المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء بامنوا على ولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين امنوا بان لو يشاء الله لهدى

الناس جميعا ولهدا هم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصايب في نفوسهم واولادهم
واموالهم او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها وتتعدى اليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم او القيامة وقيل ولا يزال
كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت
يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك الا ملاء الامهال وان يترك مدة من الزمان في خفض
وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الايات على رسول الله استهزاء به وتسلية له افمن هو قايم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني
افالله الذي هو قايم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه
وجعلوا وتمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم
ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض
فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول
بل اتسمونهم شركاء من غير ان تكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد
عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام
بشركهم وصدوا قرئ بالحركات الثلث وقرا ابن ابي اسحاق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر
على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر وساير المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم
من الله من حافظ من عذابه او وما لهم من جهة واق من رحمته مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما
قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر قال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف
الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما يشاهد وقرا علي رضي الله عنه امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها دايم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دايم لا ينسخ
كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون
بنجران واثنان وثلثون بارض الحبشة وثمانية من اليمن يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة نحو كعب
بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم
غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرايع فان قلت كيف اتصل قوله قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله
قلت هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعايكم
وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرا نافع في رواية ابي خليد ولا اشرك به
بالرفع على الاستيناف كانه قال وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره
واليه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه
والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور يوافقهم عليها
منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لين تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك
ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة
والا فكان رسول الله من شدة الشكيمة بمكان كانوا يعيبونه بالزواج والاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وكانوا يقترحون
عليه الايات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا بآيات براسهم ولا ياتون بما يقترح عليهم والشرايع مصالح

تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة
في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتابة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت
ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وساير الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب
اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كاين مكتوب فيه وقرى ويثبت وامانرينك وكيفما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل
ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح
على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من ايات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم
اياتنا في الافاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تاخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها
ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرى ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه بالرد والا
والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي او لم يقفي حتى تهجر في الرواح وهاجها طلب المعقب حقه المظلوم غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى
انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الاخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب
لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل
مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر بعد ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر
كله لانه ياتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة عما يراد بهم وقرى الكفار والكافرون والذين كفروا اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرا جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلم
اي سيعرف كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القران وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو
من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة
وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرا ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرا
ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرى وبمن عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع
العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل
كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات
بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله ومنه التوفيق سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم
كتاب هو كتاب يعني السورة وقرى ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل
الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف
كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة
كما غلب النجم في الثريا وقرى بالرفع على هو الله الويل نقيض الوال وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها
لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله
من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون مبتدا
خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار
والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الاخر وقرا الحسن ويصدون بضم الياء وكسر
الصاد يقال صده عن كذا واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير المتعدي الى المتعدي واما صد فموضوع

على التعدية لمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحا استغنوا بصده و وقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ﴿ويبغونها عوجا﴾ ويطلبون بسبيل الله زيغا واعوجاجا
وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل ﴿في ضلال بعيد﴾ اي ضلوا عن طريق الحق و وقعوا
دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف
به فعله كما يقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا ﴿الا بلسان قومه ليبين لهم﴾ اي ليفقهوا
عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته فان قلت لم يبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن
للعرب حجة ولغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله
بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا
عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق
اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب
من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل
واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة
بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان
كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه
عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التورية من السماء
بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد ﴿فيضل الله من يشاء﴾ ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مومن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يومن ولا يهدي الا
من يعلم انه يومن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان ﴿وهو العزيز﴾ فلا يغلب على مشيته
﴿الحكيم﴾ فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا اهل اللطف ﴿ان اخرج﴾ بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج
ويجوز ان يكون ان الناصبة للفعل انما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سوا في الفعلية و
الدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك ﴿وذكرهم بايام الله﴾ وانذرهم بوقايعه
التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن
عباس نعماوه وبلاوه فاما نعماوه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاوه فاهلاك القرون ﴿لكل صبار شكور﴾ يصبر على
بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم وافاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مومن لان الصبر
والشكر من سجاياهم تنبيها عليهم ﴿اذ انجيكم﴾ ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من ان
يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل
فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فايضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا
من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وهاهنا ويذبحون مع الواو فما الفرق
قلت الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة كانه جنس
اخر فان قلت كيف كان فعل ال فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه اخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء

عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو وإذ تأذن ربكم من جملة ما قال موسى
لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم اذن ربكم ونظير
تأذن وآذن ربكم توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك
وتنزاح الشبه والمعنى واذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تأذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم اي لئن شكرتم
يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لأزيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم
ما انعمت به عليكم إن عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم
اليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده الحامدون والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا وخبر وقعت
اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل
ثلثون أبا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى علمها عن العباد فردوا ايديهم
في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم
الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا
انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول قوي او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت
او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم
ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع والآيات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم الى حيث جاءت منه على طريق المثل مما تدعوننا
اليه من الايمان وقرئ تدعونا بادغام النون مريب موقع في الريبة من ارابه او من اراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر أفي الله شك ادخلت
همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم
اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته لياكل معي وقال دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور فان قلت
ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا
به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين
الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم الى اجل
مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره ان يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم ايها انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل
لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملئكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات
والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها واما
ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك
الكرامة الا وهم اهل للاختصاص بها لخصايص فيهم قد استاثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله ارادوا ان الاتيان بالآية التي اقترحتموها ليس الينا ولا
ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشية الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها
به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قولهم وما لنا الا نتوكل على الله ومعناه واي عذر
لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت
كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما

تقدم لنخرجنكم او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم خايفين على ذلك فان قلت كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن
العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عرفت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن امن به
فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرا ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء
اعتبارا لاوحى وان لفظه الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن او لاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية
التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابنا خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويامرون وينهون فذكرت
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله ذلك اشارة الى ما قضى به الله من اهلاك الظالمين واسكان المومنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي
موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيمة او على اقامة المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله
والعاقبة للمتقين واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح او استحكموا الله وسالوه القضا بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم وقري واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار
عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم
ولم يفلح باستفتاحه من ورايه من بين يديه قال عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد بجهنم فكانها من بين يديه
وهو على شفيرها او وصف حاله في الاخرة حين يبعث ويوقف فان قلت علام عطف ويسقى قلت على محذوف تقديره من ورايه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد
كانه اشد عذابها فخص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد عطف بيان لما قال ويسقى من ماء
فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف يكون
الاساغة كقوله لم يكد يريها اي لم يقرب من رويتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان اسباب الموت كلها قد تالبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما
يصيبه من الالم وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من كل اصل شعرة ومن ورايه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد
مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم
بدعوة رسول الله فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجا كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء اخر وصديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير
كلام مستانف منقطع عن حديث الرسل واممهم مثل الذين كفروا مبتدا محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة
وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سوال سايل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم او هذه الجملة خبر
للمبتدا اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا بربهم على تقدير مثل اعمالهم كرماد
الخبر وقري الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهي الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكون لريحها وقري في يوم عاصف
بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للضيافة واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك
من صنايعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون
يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق
الحق او عن الثواب بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقري خالق السموات والارض ان يشا يذهبكم اي هو قادر على ان يعدم
الناس ويخلق مكانهم خلقا اخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشي وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز
بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك اصبعك

اذا دعاه اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الاية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطايهم في الكفر بالله لوضوح اياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة
وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزا وَبَرَزُوا لِلَّهِ ويبرزون يوم القيمة وانما جي به بلفظ الماضي لان ما اخبر به عز وعلا
بصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونظاير له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شي حتى يبرز له انهم يستترون
من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله واذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية وخرجوا من قبورهم
فبرزوا لحساب الله وحكمه فان قلت لم كتب الضعفؤا بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علمؤا بني اسرايل
والضعفا الاتباع والعوام وَالَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا سادتهم وكبراوهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبيا واتباعهم تبعا تابعين
جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغايب وغيب او ذي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت اي فرق بين من في عذاب الله وبينه في من شي قلت
الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشي الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض
شي هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله فان قلت فما معنى قوله لو هدينا الله لهدينكم قلت الذي قال لهم الضعفا كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم
واستغوايهم وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغنا عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله
لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا لو شا الله ما
عبدنا من دونه من شي يقولون ذلك في الاخرة كما كانوا يقولون في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم و
يحسبون انهم على شي ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهدينكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من
العذاب لهدينكم اي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سَوَاءٌ عَلَيْنَا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية
ونحوه اصبروا او لا تصبروا سوا عليكم روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسماية عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سوا علينا فان
قلت كيف اتصل قوله سوا علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا سوا علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم
في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فايدة في الجزع كما لا فايدة في الصبر والامر من ذلك اطم او لما قالوا لو هدانا الله طريق
النجاة لاغنينا عنكم وانجيناكم اتبعوه الاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص اي منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفا والمستكبرين جميعا
كانه قيل قالوا جميعا سوا علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمضيق ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد
لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الاخر النار روي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقيا
من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزا على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِن
سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجيكم اليها إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ الا دعايي اياكم الى الضلال بوسوستي وتزييني وليس الدعا من جنس السلطان
ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب فَلَا تَلُومُونِي ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان
هو الذي يختار الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا
انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره
على انه لا طايل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان
لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب
الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة وقري بمصرخي بكسر اليا واستشهدوا لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا في قالت له ما انت بالمرضي وكانه قدر يا الاضافة
ساكنة وقبلها يا ساكنة فحركها بالكسر لما عليها اصل التقا الساكنين ولكنه غير صحيح لان يا الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي

في امالها وقبلها يا، فان قلت حرك اليا الاولي مجري الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانما يا، وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل قلت هذا
قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضال اليه القياسات ما في بما اشركتموني مصدرية ومن قبل يتعلق باشركتموني يعني كفرت اليوم
باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما
تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول
شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركنيه فلان اي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان من سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما
كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا اخر قول ابليس عليه اللعنة وقوله ان الظالمين قول الله عز وجل ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما
حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم
ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقري فلا يلوموني باليا على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في
الفلك وجرين بهم وقرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله وادخل الذين امنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخل انا وهذا دليل على انه من قول الله تعالى لا من
قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملايكة الجنة باذن الله وامره فان قلت فبم يتعلق في القراة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم
كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملايكة يحيونهم باذن ربهم قري الم تر
ساكنة الرا كما قري من بتق وفيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد الله مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا
كقولك شرف الامير زيدا كساه وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف
هي كشجرة طيبة اصلها ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها اعلاها وراسها في السما ويجوز ان يريد فروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرا انس بن مالك كشجرة
طيبة ثابت اصلها فان قلت اي فرق بين القرائتين قلت قراة الجماعة اقوى معنى لان في قراة انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قايم فهو اقوى
معنى من مررت برجل قايم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة
والدعوة وعن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المومن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله ان
اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انها
النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السما معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السما تريد ارتفاعه وشموخه
توتي اكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير
وتصوير للمعاني كشجرة خبيثة اي كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها وقري ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة
واما الشجرة الخبيثة كلمة الشرك الخبيثة وكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة
كلها ما لها من قرار اي استقرار يقال قر الشي قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضده حجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل
عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وسيل عن بعض العلما ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السما مصعدا الا ان تلزم
عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمانت اليه نفسه وتثبيتهم في الدنيا انهم
اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون
وغيرهما وتثبيتهم في الاخرة انهم اذا سيلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات
عند سوال القبر وعن البرا بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المومن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه

في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي منادي من السما ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت ويضل الله الظالمين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد اكابرهم وشيوخهم كما قلد المشركون اباهم فقالوا انا وجدنا اباءنا على امة
واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شي وهم في الاخرة اضل وازل ويفعل الله ما يشاء اي توجبه الحكمة لان مشية الله تابعة للحكمة
من تثبيت المومنين وتاييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا
لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب
موضعه ووجه اخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله
حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخا والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمة
فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الافجران
من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم
على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان قري ليضلوا بفتح اليا وضمها فان قلت الضلال والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما
معنى اللام قلت لما كان الضلال او الاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جيتك لتكرمني نتيجة المجي دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه
والتقريب تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه كانهم مامورون به قد امرهم امر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون
لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه تمتع بكفرك
قليلا انك من اصحاب النار المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا ويجوز ان
يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ليكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة
وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق بمعنى مسرين ومعلنين او على
الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفا المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب والخلال المخالة فان قلت
كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله
وفي المكارمات ومهادات الاصدقا ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغا
وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المومنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه
اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقري لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله مبتدا والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان
للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق دائبين
بقوله كن دائبين يداوبان في سيرهما وانارتهما ودرءهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار متعاقبان
خلفة لمعاشكم وسباتكم واتيكم من كل ما سالتموه من للتبعيض اي اتاكم بعض جميع ما سالتموه نظرا في مصالحكم وقري من كل بالتنوين وما سالتموه نفي ومحله النصب
على الحال اي اتيكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان تكون ما موصولة على واتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به وكانكم سالتموه او
طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ اخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه
الا الله لظلوم كفار يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار
بالظلم والكفران من يوجدان منه هذا البلد يعني هذا البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ ظالم واجاب فيه دعوة خليله ابراهيم امنا ذا امن فان قلت
اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله اجعل هذا البلد امنا قلت قد سال في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يامن اهلها ولا يخافون وفي

الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا واجنبني وقرئ واجنبني وفيه ثلث لغات جنبه الشر وجنبه واجنبه واهل
الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبني اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام
فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت
وكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك وانما جعلن
مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما يقال فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني
اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصاني فانك غفور رحيم
تغفر له ما سلف منه من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه بواد
هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرانا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير عند بيتك المحرم لان الله
حرم التعرض له والتهاون فيه وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا
يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلوة اللام متعلقة باسكنت اي اسكنتهم بهذا الوادي الخلاء
البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما يعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع
مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي اثرت بها سكان حرمك افئدة من الناس
افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى
الروم والترك والهند ويجوز ان تكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي وكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها
في الاية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ افدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم ادر في ادؤر والثاني ان تكون اسم فاعلة من افدت
الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين
وان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله يهوي مجارحها هوي الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه
غيره وتهوى اليهم من هوي يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد
لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما امنا يجبى
اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة
التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من اياته بعجيب
متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابراهيم ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم النداء المكرر دليل التضرع
واللجا الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لا غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا
منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى
ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه
رفع حاجته الى كريم فابطا عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوايج السايلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه
حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كابة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه
وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من
شيء من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان

ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما على في قوله على الكبر بمعنى مع قوله انى على ما ترين من كبري اعلم من حيث توكل الكتف وهو في موضع الحال ومعناه هب لي وانا كبير
وفي حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن ماية وثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحاق
لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم الا بعد ماية وتسع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنية بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من
الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واجلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت اية لابراهيم ان ربي يسمع الدعاء كان قد
دعا ربه وساله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته فان قلت الله يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك كلام
فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران فان قلت ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء قلت
اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار
ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيلا الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله ومن ذريتي وبعض
ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين وتقبل دعاء اي عبادتي واعتزلكم
وما تدعون من دون الله في قراءة ابي ولابوي وقرا سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني اباه وقرا الحسن بن علي ولولدي يعني اسمعيل واسحاق وقري
ولولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم بمعنى العدم وقيل جمع ولد كاسد في اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه
وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه ادم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويابى قوله الا قول ابراهيم
لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثني الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابراهيم يوم يقوم الحساب
اي يثبت وهو مستعار من قيام القايم على الرجل والدليل عليه قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت ضوءها كانما قامت على رجل ويجوز
ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد فقد استجاب الله له فيما سال فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل
البلد امنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس انه قال كانت الطايف من ارض فلسطين فلما قال
ابراهيم ربنا انى اسكنت الاية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم فان قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله وهو اعلم الناس به غافلا
حتى قيل ولا يحسبن الله غافلا عما قلت ان كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا
تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر كما جاء في الامر يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم
بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا
تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته
فلا سوال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه وقري نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الابصار
اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رءوسهم
رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا
الى انفسهم الهواء الخلاء الذي لم يشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير
"من الظلمان جوجوه هواء" لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان "فانت مجوف نخب هواء" وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية
منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم يوم ياتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا
الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين
لشدة السكرات ولقاء الملايكة بلا بشرى وانهم يسالون يومئذ ان يوخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق او لم تكونوا اقسمتم

على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وما لكم
جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا ينتقلون
الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا لان السكنى
من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغنى فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبواها واوطنها
ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمانوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان
عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا
وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا
الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ الذي يمكرهم به
وهو عذابهم الذي يستحقونه ياتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال
منه مثلا لتفاقمه وشدته اي وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم و
المعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لايات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا ويعضده قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم
وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرا علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم مخلف وعده
رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده فلم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا
يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليوذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شانه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته
وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرا قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه
يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم ياتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات
والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما
اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها
فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا
الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل تخلق بدلها ارض وسموات وعن ابن مسعود
وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم
نبدل بالنون فان قلت كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا
مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين
وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين او يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد
لسلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق القطران فيه ثلاث لغات قَطِران وقَطْران وقِطْران بفتح القاف وكسرها مع سكون
الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال
النار وقد يُستَسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران و
حرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله او اوعد به في
الاخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ به من سخطه ونساله التوفيق فيما ينجينا

من عذابها وقرئ من قطرٍ آنٍ والقطر النحاس او الصفر والصفر المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون
في النار على وجوههم لان الوجه اعز الموضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى اي يفعل بالمجرمين
ما يفعل ليجزي الله كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير
والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح
اليا من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير
كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد وبالله التوفيق سورة الحجر تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في
كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان قرئ رُبَما ورُبَّتما بالتشديد ورُبما ورَبما بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت
على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه وكانه قيل ربما ود فان قلت متى يكون
ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا راوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة فان قلت
فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله
ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن
ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة لو كانوا مسلمين
حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال
ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه
والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة
الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به
حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسول الله ان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يامرهم بما لا يزيدهم
الا ندما في العاقبة وفيه الزام الحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل وهذه هجيري اكثر الناس
ليس من اخلاق المومنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا
من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو اجلها
الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال يستاخرون بحذف عنه
لانه معلوم قرا الاعمش يا ايها الذي القي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول
الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد
يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل عليك الذكر لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما
هل فلم يركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون
بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وهلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تاتي الامم المكذبة
برسلها قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان
تاتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض

وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي والعذاب اذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم
إنا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فأكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه
هو الذي بعث به جبريل الى محمد وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشيطان وهو حافظه في كل وقت من زيادة ونقصان وتحريف وتبديل
بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القران الى غير حفظه فان قلت
فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه
لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في قوله له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك
في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما يأتيهم
حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على المضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته
فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو انزلت
بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام يعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به
او هو بيان لقوله كذلك نسلكه سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم قرئ يعرجون
بالضم والكسر وسكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما يحار
السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو
شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم
بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس انهم
كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة
وقدر بمقدار تقتضيه الحكمة لا يصلح فيه زيادة ونقصان او له قدر ووزن في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها
معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة او اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه
ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين
واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل
ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور وذكر
الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب
الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير ريح عقيم والثاني
ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس فاسقيناكموه لكم سقيا وما
انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما
انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهار العجز هم ونحن الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت
لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله عليه السلام في دعائه واجعله الوارث منا ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والاخرين او من خرج
من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين وروي ان امرأة
حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت وهو يحشرهم اي هو وحده القادر

على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما
بكل شيء الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة
وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة
في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حمأ صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حمأ وحق مسنون
بمعنى مصور ان تكون صفة للصلصال كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جواهر اخر والجان الجن كادم للناس وقيل
هو ابليس وقرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجأن بالهمزة من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام وقيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي
خلق الله منها الجان واذ قال ربك واذكر وقت قوله سويته عدلت خلقته واكملتها وهياتها لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي احييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ
وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه واستثنى ابليس من الملئكة لانه كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملئكة ثم استثني بعد التغليب كقولك رايتهم الا هندا وابى استيناف
على تقدير قول قايل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك استكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى حرف الجر مع ان محذوف وتقديره مالك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض
لك في ابايك السجود واي داع لك اليه اللام في لاسجد لتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر رَجِيمٌ شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود
من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من رحمة الله والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او السماء او الى جملة الملائكة
ومر يوم الدين حد اللعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في
السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب واذا جاء ذلك اليوم عذبت بما تنسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن
خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة المبالغة وقيل انما سال الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك
وانظر الى اخر ايام التكليف بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوايك اياي لازينن لهم ومعنى اغوايه اياه تسبيبه لغيه بان امره
بالسجود لادم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك
والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله بما اغويتني لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني
اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم
بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال
لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازيننها
في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الاخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل
فيهم ولا يقبلون منه اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل
لموعدهم الضمير للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها وادركها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابيين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابيين والهاوية
للموحدين وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرا الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقوله
الرجل ثم اجري الوصل مجرى الوقف المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها
ادخلوها على ارادة القول وقرا الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم تسلم الملائكة الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان
لاحدهم في الدنيا غل على اخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت
جالسا اذ جاء ابن طلحة فقال له علي رضي الله عنهما مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم

من غل فقال له قايل كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الاية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في
الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب واخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع
احوالهم متقابلين لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم
على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي
نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما وجلون خايفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرا الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله
يوجله اذا اخافه وقري لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقري نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد انك
بمثابة الامن المبشر فلا توجل يعني ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى
التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشروني واراد انكم تبشروني بما هو غير متصور في العادة فباي شي تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشي لان البشارة بمثل
هذا بشارة بغير شي ويجوز ان لا تكون صلة لبشر وتكون سوالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشروني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة وهو
قوله بشرناك بالحق يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هو حق وهو قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد
ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقري تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونن وتبشرونّ بادغام نون الجمع في نون
العماد وقري من القنطين من قنط يقنط وقري ومن يقنط بالحركات الثلث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطيون طريق الصواب او الا الكافرون
يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله فان قلت قوله تعالى الا ال لوط استثنا متصل ام منقطع قلت لا يخلو
من ان يكون استثنا من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثنا من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه
قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا ال لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناين قلت نعم وذلك
ان ال لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى ال لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال
الحجر او السهم الى المرمي في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن ال لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان
الملايكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هولا وينجوا هولا فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم تعلق على
الوجهين قلت اذا انقطع الاستثنا جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بال لوط لان المعنى لكن ال لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستانفا كان ابراهيم صلوات
الله عليه قال لهم فما حال ال لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امراته مم استثني وهل هو استثنا من استثنا قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم
وليس من الاستثنا في شي لان الاستثنا من الاستثنا انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا ال لوط الا امراته كما اتحد الحكم في قول المطلق
انت طالق ثلثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان على عشرة دراهم الا ثلثة الا درهما فاما في الاية فقد اختلف الحكمان لان الا ال لوط متعلق بارسلنا او
بمجرمين والا امراته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثنا من استثنا وقري لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين
والتعليق من خصايص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلما تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت فلم اسند الملايكة فعل
التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا
والمدبر والامر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقري قدرنا بالتخفيف منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان
تطرقوني بشر بدليل قوله بل جيناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جيناك بما تنكرنا لاجله بل جيناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي
كنت تتوعدهم بنزوله ويمترون فيه ويكذبونك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم وقري فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى
وسرى وروي صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في اخر الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعدما يمضي شي صالح

من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن
له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احد لغرض
له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات اختشاما فيه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال الهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم
احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم
على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما متلفتين اليها وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى
وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يتلفت لا بد في ذلك
من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدي وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون وعدي
قضينا بالى لانه ضمن معنى واوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع في ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم
له وقرا الاعمش ان بالكسر على الاستيناف كان قايلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم اخرهم
يعني يستاصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة ولا تفضحون بفضيحة ضيفي
لان من اسى الى ضيفه او جاره فقد اسى كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم ولا تخزون ولا تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي
من الخزاية وهي الحياء عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم وانهم كانوا يتعرضون لكل واحد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن
المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط
هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني ولا تتعرضوا لهم ان كنتم
فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل انكم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم لعمرك على ارادة
القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطاء الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم
من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحياته وما اقسم
بحيوة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك
مما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم الصيحة صيحة جبرئيل مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من طين
عليه كتاب من سجيل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتاملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم
حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى يعني اثارها
لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم تندرس بعد وهم يبصرون تلك الاثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني
قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين
لبطريق واضح الامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة
والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المومنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه
وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء
ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها امنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص
ومن الاعداء وحوادث الدهر او امنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد الا بالحق
الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا ولا عبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لاتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك

ويجازيك واياهم على حسناتك وسياتهم وانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل
هو منسوخ باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري
بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان رضي الله
عنهما ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للتكثير لا غير كقولك قطّع الثياب وقطع الثوب والثياب سبعا سبع ايات وهي الفاتحة او سبع
سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي ال عمران او سبع
صحايف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلوة وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة
مثناة او مثنية صفة للاية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله
بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها
تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القران بعضها فان قلت كيف صح عطف القران العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع
الفاتحة او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القران لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القران يعني سورة يوسف واذا عنيت الاسباع
فالمعنى ولقد اتيناك ما يقال له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به
ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القران
العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقران وحديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا
اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصري واذرعات سبع قوافل لليهود وبني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب
والجوهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع ايات هي خير من
هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يومنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المومنون وتواضع لمن معك من فقراء
المومنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم فان قلت بم تعلق قوله
كما انزلنا قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد اتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا
بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن فيقول بعضهم سورة البقرة
لي ويقول الاخر سورة ال عمران ويجوز ان يراد بالقران ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التورية وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض
الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقران وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب
نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل
المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القران عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزؤن
القران الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان
برسول الله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا وانه لساحر ويقول الاخر كذاب والاخر شاعر واهلكهم الله يوم بدر وقبله بافات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل
والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلم والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله
ولقد اتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى اخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي
عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المومنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال
رؤبة وليس دين الله بالمعضى وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش يقولون للساحر عاضه ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة

والمستغضبة نقصا لنا على الاول واو وعلى الثاني ها النسا لنهم عبارة عن الوعيد وقيل نسالنهم سوال التقريع وعن ابي العالية يسال العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون
وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تومر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة
وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تومر والمعنى بما تومر به من الشرايع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان يكون ما مصدرية اي
بامرك مصدر من المبني للمفعول عن عروة بن الزبير في المستهزئين خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود عبد يغوث والاسود بن المطلب
والحرث بن طلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه
سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وايل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى
ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحرث بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة
ويضرب وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي القران فسبح فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدايم وكثرة السجود يكفك
ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم على اله وسلم وعلى اصحابه واطفاله
سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم ٥ كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا
بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة الاتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا
يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كاين فلما تاخرت قالوا يا محمد ما نرى شيا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها
فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا
وقري تستعجلوه بالتا والياسبحانه وتعالى عما يشركون تبرا وجل عن ان يكون له شريك وان تكون الهتهم له شركا او عن اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية
فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزا وتكذيب وذلك من الشرك وقري تشركون بالياء والتاء ينزل وقري بالتخفيف والتشديد وقري
تنزل الملائكة اي تتنزل بالروح من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وان انذروا بدل من الروح اي
ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اي بان الشان اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله
الا انا اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى تقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما
لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهايم لاكله وركوبه وجر اثقاله وساير حاجاته وخلق ما لا يعلمون
من اصناف خلايقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقري تشركون بالياء والتاء فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم
مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا لا حس فيه ولا حركة دالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قايل من يحيي العظام وهي رميم وصفا
للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جا بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد
اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم الانعام الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان
اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان والدفو اسم ما يدفى به كما ان الملا اسم ما يملا به وهو الدفا من لباس معمول
من صوف او وبر او شعر وقري دف بطرح الهمزة والقا حركتها على الفا ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت تقديم الظرف في قوله ومنها تاكلون موذن بالاختصاص
وقد يوكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري
مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تاكلونها منها وتكتسبون باكرا الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها من الله تعالى
بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية

وتجاوب فيها الثغاء والرغاء انست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سواتكم
وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملاء البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها
وقرا عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي وقرئ بشق الانفس
بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق
فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه فانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت
وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت فكيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه
قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه قلت طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة
فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرؤف رحيم حيث
رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل
خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام فان قلت لم انتصب وزينة قلت لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها فان قلت فهلا
ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزاين وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها
زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا من ها اي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله
ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوي
عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر
والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل
ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين
وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها اي وعليه الجائر وقرا عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر جائر عن القصد بسوء
اختياره والله بريء منه ولو شاء لهديكم اجمعين قسرا والجاء لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له والشراب ما يشرب شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تاكلوا
ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلا تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض وقرئ
تنبت بالياء والنون فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا يكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون
بها عليه وعلى قدرته وحكمته والاية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرا ابي بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع وقريت
كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب
بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من
قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات
بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فجمع الاية وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء
والعظمة وما ذرا لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيات والمناظر لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد
يسرع اليه فيتسارع الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى قلت مبنى
الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله
ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس

نسايهم لانهن من حليتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم المخر شق الما بحيزومها وعن الفرا هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغا الفضل التجارة
ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب والمايد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملايكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد
ارسيت بالجبال لم تدر الملايكة مم خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وعلامات هي معالم
الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش
والجدي وقرا الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون
مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هولا خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه اراد قريشا كان لهم اهتدا بالنجوم في
مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم وكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا فان قلت من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جي بمن الذي
هو لاولي العلم قلت فيه اوجه احدها انهم سموها الهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون
شيا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل
يمشون بها يعني ان الالهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد واذان وقلوب لان هولا احيا وهم اموات فكيف يصح ان يعبدوا فان قلت هو الزام للذين
عبدوا الاوثان وسموها الهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق وكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله
مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا
عددها ولا تبلغه طاعتكم فضلا ان يطيقوا القيام بحقها من ادا الشكر واتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراها ما لا ينحصر ولا ينعد ان الله لغفور
رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في ادا شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اعمالكم وهو وعيد
والذين تدعون من دون الله والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وقري بالتا وقري يدعون على البنا للمفعول نفى عنهم خصايص الالهية بنفي كونهم خالقين
واحيا لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احيا انهم لو كانوا الهة على الحقيقة
لكانوا احيا غير اموات اي غير جايز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى يبعث عبدتهم وفيه تهكم
بالمشركين وان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزا منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه اخر وهو ان يكون
المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حيوة فيها غير احيا يعني ان الاموات ما يعقب موته
حيوة كالنطف التي ينشيها الله حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حيوة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون
ايان يبعثون اي وما يعلم هولا الالهة متى تبعث الاحيا تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد
بالذين يدعون الملايكة وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احيا غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقري ايان
يبعثون بكسر الهمزة الهكم اله واحد يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان يكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية
ووضح دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو
وعيد انه لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هولا تحت عمومه ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شي انزل
ربكم او مرفوع بالابتدا بمعنى اي شي انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله
ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير قلت هو على السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول
المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله عليه السلم قالوا احاديث
الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا اوزار ضلالتهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالتهم

وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا نحو قولك
خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه
ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل القواعد اساطين البناء التي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسله فجعل
الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين واتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر
لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى
اتيان الله اتيان امره من القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين يخزيهم
يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة شركائي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم
بها على طريق الاستهزاء بهم يشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى يشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها
مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم
يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة قرئ تتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفهم بادغام التاء في التاء
فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان
فرد عليهم اولو العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون ٥ فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خيرا انزل خيرا فان قلت
لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال
فقالوا خيرا اي انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء وروي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم
من ياتيهم بخبر النبي عليه السلام فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع
امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول
الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسمية خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدا عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة
في الدنيا باحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره
وجنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم ويقولون سلام عليكم اذا
اشرف العبد المؤمن جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك السلام ويبشره بالجنة تاتيهم الملائكة قرئ بالياء والتاء يعني ان تاتيهم لقبض الارواح وامر
ربك العذاب المستاصل او القيامة كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا
ما استحقوا به التدمير هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجالهم استهزاء بهم به وتكذيبهم
الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا
مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء
الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم
على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه وقد ايد ابطال قدرة السوء ومشيئة الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو
الايمان وعبادة الله تعالى وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت
عليهم الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتي منه خير فسيروا في الارض فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني لا اقدر القبيح والشر ولا
اشاء حيث افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يهدي من يضل اي

لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدي اي لا يقدر انت ولا احد على هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم
من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدي وفي قراءة ابي فان الله لا هادي
لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرا النخعي ان تحرص بفتح الراء وهي لغية واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما
كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريكهم ذنوبهم على مشيئة الله تعالى وانكارهم البعث مقسمين عليه وبلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم
ووعد الله مصدر موكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم
يبعثون فانه وعد الله واجب على الله تعالى لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير
لمن يموت وهو عام للمومنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق ويعلم الذين كفروا انهم كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث
الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب قولنا
مبتدا وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف
وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المامور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المامور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى
ان ايجاد كل مقدور على الله عز وجل بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا هم رسول الله
واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله عز وجل منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين
بعد هجرة رسول الله وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم
فافتدى منهم بماله وهاجر فلما راه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف
في الله في حقه ولوجهه حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة
الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك في الدنيا
وما ذخر لك في الاخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث اواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهولاء المستضعفين
في ايديهم الدنيا والاخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمونه ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على هم الذين صبروا
او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط راسهم وعلى المجاهدة وبذل
الارواح في سبيل الله قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم على السنة الملائكة فسالوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب
ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا البشر فان قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع
رجالا اي وما ارسلنا من قبلك الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات
واما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحي اي يوحي اليهم بالبينات او بلا تعلمون على ان الشرط في معنى
التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فسالوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة فاهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر
لانه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل اليهم يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته
فينتبهوا ويتاملوا مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم على تخوف
متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته
اذا انتقصته قال زهير تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي ياخذهم على ان ينتقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا
وعن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم

قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان ربكم لرؤف
رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم وقرئ اولم يروا وتتفيؤ بالتاء والياء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤ ظلاله واليمين بمعنى
الايمان وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء
او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه
استعارة عن يمين الانسان وشماله بجانبي الشيء اي يرجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة فيما سخرها الله من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة
صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا يمتنع من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب
الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الملئكة وكرر ذكرهم على معنى والملئكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم
ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملئكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم فان قلت سجود المكلفين مما انتظم هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف
عبّر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله تعالى وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما
معنى الانقياد فلم يختلفا ولذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قلت فهلا جيء بمن قلت لم يكن فيه دليل على التغليب وكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو
صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له
لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا
لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون فيه دليل على ان الملئكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم
بين الخوف والرجا فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة
على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله الهين
اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث
هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي
فارهبون نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجيء
ما قبله على لفظ المتكلم الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من
الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة واي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو
من الله فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يصف راهبا يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا
وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرأ قتادة كاشفُ الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى
قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال واذا فريق كافر وهم في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد
بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال واذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على
ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر لما لا يعلمون اي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها الهة ويعتقدون
فيها انها تضر وتنفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا تضر ولا تنفع فهم اذن جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر
اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها الهة وانها اهل للتقرب
اليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على

الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور ظل بمعنى صار كما يستعمل بات وامسى واصبح بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجي ظل
لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكابة والحيا من الناس وهو كظيم مملو حنقا على المراة يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل سوء
المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به على هون وذل ام يدسه في التراب ام يئده وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التانيث وقرئ على
هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد
الذكور وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو
الجواد الكريم بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشوم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم
لا يضر الا نفسه فقال بلى والله ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة
وعن ابن عباس رضي الله عنه من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن
الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان
لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف يكون يوم القيمة اذا قال الله هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال
الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالخرق والكسر وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك الموقف وقرا هذه الاية وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان
لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا والمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها
من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من
التفريط في الطاعات وما يلزمهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان
الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الاتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر
لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هولا لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم
وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما
ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يومن به ومنهم عبد المطلب واشيا من التحريم والتحليل والانكار والاقرار لقوم
يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه وكانه اصم لا يسمع ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسما المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك
رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المومنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال له في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما
مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع وقرئ نسقيكم
بالفتح والضم وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله
تعالى لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رايحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما
والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل
وسيل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سايغا سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا
بالتخفيف كهين ولين فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء
الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدي فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كاينا
من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من
جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الاية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات

النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه
الاسقا او يتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من ارمى البشر تقديره
ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت الام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا
مكررا قلت الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى او هم قايلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا
ورشدا فقال وجاؤنا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران صاح وفيه وجهان احدهما ان تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع بين العتاب
والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة رحمه الله الى حد السكر ويحتج بهذه الاية
وبقوله عليه السلام الخمر حرام بعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية
قيل له لو شربت ما تتقوى به فابى فقيل له قد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج بالمروة وقيل السكر الطعام وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت
باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك في اعراض الناس فكانه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان تجعل السكر رزقا حسنا
كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن الايحا الى النحل الهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعتها
ولطفها في تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلايل بينة شاهدة على ان الله تعالى اودعها علما بذلك وفطنها كما اولى اولى العقول عقولهم وقرا يحيى بن وثاب الى
النحل بفتحتين وهو مذكر كالنحل وتانيثه على المعنى ان اتخذي ان هي المفسرة لان الايحا فيه معنى القول قرى بيوتا بكسر البا لاجل اليا ويعرشون بكسر الرا وضمها
يرفعون من سقوف البيت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فان قلت ما معنى من في قوله
ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت اريد معنى البعضية وان لا تبني بيوتها في كل جبال وفي كل شجر وكل ما يعرش
ولا في كل مكان منها من كل الثمرات احاطت بالثمرات التي تجرسها وتعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي من كل ثمرة تشتهيها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق
التي الهمك وافهمك في عمل العسل اي فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ماكلك فاذا اكلت
الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني ان نارا عا اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد
في طلب النجعة واراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي باكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله تعالى ذللها ووطاها و
سهلها كقوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا ومن الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه
منه ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفا للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطبا فيه العسل وليس الغرض انه
شفا لكل مريض كما ان كل دوا كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفا الذي فيه او لان فيه بعض الشفا وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان
اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه الله فبرا كانما انشط
من عقال وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه العسل شفا من كل دا والقران شفا لما في الصدور فعليكم بالشفايين القران والعسل ومن بدع تاويلات الرافضة
ان المراد بالنحل علي رضي الله عنه وكرم وجهه وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدي انما النحل بنوهاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك
مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون
سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوا حالا من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وان يعلم شيا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان
سيل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزقتم مماليككم وهم بشر
مثلكم واخوانكم وكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما حكي عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هم اخوانكم
فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما روي عبده بعد ذلك الا ورداوه رداوه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود

النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوّون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء فلا ترضون ذلك لانفسكم فكيف
رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من
الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وقرئ يجحدون بالياء والتاء من انفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع ادم والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد
اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال حفد الولائد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات
وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون
كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين من الطيبات يريد بعضها وكل الطيبات في الجنة وما طيبات
الدنيا الا انموذج فيها منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة
فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا يتصوره
العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت
به شيئا كقوله او اطعام مسكينا على ما لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ومن
السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه
في معنى الالهة بعدما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولو الالباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي
لا حس به فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء واحد قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والا
والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه
ولا يتاتى ذلك فيهم ولا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم كنه ما تفعلون
وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ كنهه وعقابه فذاك هو الذي جرّكم اليه وجرّاكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك
ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوّى بين عبد مملوك
عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف
قلت اما ذكر المملوك فليميز عن الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا ماذون له لانهما يقدران على
التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا
رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون قلت معناه هل يستوي الاحرار والعبيد الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم
وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن
هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض
على عباده ويشملهم من اثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنياوية والاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اينما اوجّه
الق سعدا وقرا ابن مسعود اينما يوجّه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم واراد بغيب السموات والارض يوم القيمة
على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر او هو
اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل
المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والاخرين يكون في اقرب ساعة واوحاه إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فهو يقدر على ان يقيم
الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده قرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امهات كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت

زيادتها في الواحد. قال المتنبي خنذق. والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم
من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه
والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع ٢١٦
لا غير فجرت ذلك المجرى قرئ ولم تروا بالياء والتاء مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك في جو السماء الهواء المتباعد من الارض في
سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها والسكن فعل
بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل
يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر
جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون مما خلق
من الشجر وسائر المستظلات اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها
تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم بأسكم
يريد الدروع والجواشن والسربال عام تقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون من السلامة اي تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون وقرئ تسلمون
اي تشكرون فتسلمون من العذاب وتسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب عليك
من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التي عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي
من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من
الله تعالى وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم
ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان
يعترف لا ان ينكر شهيدا نبيا يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة
لهم ولا عذر وكذا عن ابي حسن رضي الله عنه ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل فان قلت ما معنى ثم هذه قلت
معناه انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصب اليوم بمحذوف تقديره
واذكر يوم نبعث او يوم يبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا راوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الآية
ان ارادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعو بمعنى نعبد فان قلت
لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة بل كانوا يعبدون الجن يعنون
ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا وكذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله تعالى من الشريك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا
كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتموني من قبل والقوا يعني الذين ظلموا والقوا السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار
في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر
يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل
يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان
يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا على امتك تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كونه وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن فان قلت
كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وطاعة وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتدا بآثارهم
في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطّوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا
لكل شي العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لابد من ان
يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرايض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق
والسلامة من التفريط وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر التفريط من النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما ينكره العقول
والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المومنين رضي الله عنه اقيمت هذه الاية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا و
بغيا ضاعف الله لمن سنّها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضي الله عنه عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله تعالى واكد لغتان فصيحتان و
الاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمراة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته و
ابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقا اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة
على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد مفعولي تتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها
دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر اموالا من امة من جماعة المومنين انما يبلوكم
الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة
لرسول الله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المومنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة
واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي
من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاختيار
الذي لا يستحق به شي من ذلك وحققه بقوله ولتسالن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتدا لما اثبت لهم عملا يسالون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ
الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما نزلت منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزلوا اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا
بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا بعضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم
في الاخرة كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان بجزعهم مما راوا من غلبة قريش واستضعافهم للمسلمين وايذائهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان
ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت
قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا انما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الاخرة خير لكم ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزاين رحمته باق لا ينفد
وقري لنجزين بالنون والياء الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق
الحق بعد ان يثبت عليه فكيف باقدام كثيرة فان قلت من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا
ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر بقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب
الدنيا والاخرة كقوله فآتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وذلك ان المومن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال
فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص
لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس رضي الله عنه الحيوة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هو حلاوة الطاعة والتوفيق
في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرات القران فاستعذ ايذانا كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا اكلت فسم الله تعالى

ستعاذة من جملة الاعمال
ة التي يجزيك الله عليها
ب والمعنى فاذا اردت قرات
ت فاستعذ هو

فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا اقرانيه جبريل عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله تعالى يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما
سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه تبديل الاية مكان الاية هو النسخ والله تعالى ينسخ
الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء
بحكمته هذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ كانوا يقولون
ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون
بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة فان قلت هل في ذكر تبديل الاية بالاية دليل على ان القران انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من
السنة والاجماع والقياس قلت فيه ان قرانا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القران في ايجاب العلم فنسخه كنسخه بمثله واما
الاجماع والقياس والسنة الغير المقطوع بها فلا يصح نسخ القران بها في ينزل وننزل وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل
من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل عليه السلام اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم
الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس والمقدس المطهر من الماثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق
ليثبت الذين امنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله تعالى حكيم فلا يفعل
الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم
وقرئ ليثبت بالتخفيف ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه واسمه عايش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان
لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار وكانا يصنعان السيوف بمكة ويقران التورية والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما
يقران فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي رضي الله عنه واللسان اللغة ويقال الحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال
حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله
عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القران لسان عربي ذو فصاحة وبيان ردا لقولهم وابطالا
لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما
محلها قلت لا محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم ومثله قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل
الله ان الذين لا يؤمنون بايات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الاخرة لا من اهل
اللطف والثواب انما يفتري الكذب رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون
اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اي اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات الله اعظم الكذب او اولئك هم
الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بايات الله
على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم
الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدا الذي هو اولئك على ومن كفر بالله من بعد
ايمانه فهم الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون على واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطا
مبتدا ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي ان ناسا من اهل مكة

فتنوا وارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم
عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم
ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يبكي فجعل رسول الله عليه السلام يمسح عينيه فقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا
فان قلت اي الامرين افضل افعل عمار ام فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال للاخر ما
ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه
فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم
بسبب استحبابهم الدنيا على الاخرة واستحقاقهم خذلان الله تعالى بكفرهم واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب
هو غاية الغفلة ومنتهاها ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هولاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم
وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل اي بعد ما عذبوا
المومنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر يوم ياتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى
النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن
ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هولاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي
هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى
الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف
رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها
ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت
اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك
من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة
على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان
الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه هاهنا ونحوه قول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار
الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظر
فيه الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر اراد بردائه سيفه ثم قال
فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون في
حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفيهم الملئكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجات النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقام اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل ذلك
بالفاء في قوله فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم
اياه تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم
وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم

ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل
الله تعالى هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال
وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام بوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا
ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت هو من
فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر
وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب
جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل
الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة
الانعام بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة كان امة
فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس
كلهم كفار والثاني ان تكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل
قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروي الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود رضي الله عنهما انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو
ابراهيم عليه السلم فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ولرسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة
حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة قانت
لله ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو الخير والقانت
القائم بما امره الله والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى
الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم
شكرا لله تعالى على انه عافاني وابتلاكم اجتبيه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام حسنة عن قتادة هو تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل
دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم
منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابراهيم عليه السلم من الكرامة واجل ما اولي من النعم اتباع رسول الله ملته
من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين ساير النعوت التي اثنى الله عليه بها السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال
السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم
الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين
للاوامر والخالعين ربقة طاعته فان قلت فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين
تارة ومحرمين اخرى ووجه اخر وهو ان موسى عليه السلم امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي
فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة واذن
الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم
بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما استوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرئ
عبد الله انا انزلنا السبت الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك

تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة
من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك هو اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت فيه الحيل وكانك تضرب منه في
حديد بارد سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرى وان عقبتم فعقبوا اي
وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب
فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروي فراه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف
عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين
المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدايد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة
واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل والصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وجل فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب
للتقوى ثم قال لرسوله واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه ولا تحزن عليهم اي على الكافرين ولا تك ولا تاس على القوم الكافرين
او على المومنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق قرى ولا تكن في ضيق اي ولا تضيق صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي من امر ضيق ويجوز ان
تكون الضيق والضيّق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان
انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي اوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما
انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آية بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع
القبايح التي يضيفها اليه اعداء الله تعالى واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله
ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك
قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلفوا في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام
بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النايم واليقظان اذ اتاني جبريل عليه السلم بالبراق وقيل
اسري به من دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروي انه كان نايما في بيت ام هاني
وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم قام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هاني بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس
اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا
وارتد ناس ممن كان امن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وفيهم
من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها
فقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قايل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال اخر وهذه والله
العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يومنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر
قريشا ايضا بما راى في السماء من العجايب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن
انه كان قبل البعث واختلفوا في انه كان في اليقظة ام في المنام فعن عايشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه وكذا عن
معاوية وعن الحسن كان في المنام رويا راها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينيذ وراءه مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين
والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلم ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقرا الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام

على لفظ الغايب والمتكلم فقيل اسري ثم باركنا ثم لنريه على قراة الحسن ثم من اياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد صلى
الله عليه وسلم البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك ان لا تتخذوا قري بالياء على لئلا يتخذوا وبالتا على اي لا تتخذوا كقولك كتبت
اليه ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرا لا تتخذوا بالتا على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني
وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا ومن ذرية
المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقري ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرا زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي عنه انه فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة
في انجا ابايهم من الغرق انه ان نوحا كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شا اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شا اظماني
واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شا اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شا احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه
في عافية ولو شا حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من امن به فان وجده محتاجا اثره به فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما
قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلم كان عبدا شكورا وانتم ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله
اباوكم اسوتهم ويجوز ان تكون تعليلا للاختصاص والثنا عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح عليه السلم فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز
ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بني اسرايل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون
اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التورية ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضا المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا
لتفسدن وقري لتفسدن على البنا للمفعول ولتفسدن بفتح التا من فسد مرتين اولاهما قتل زكريا وحبس ارميا عليهما السلم حين انذرهم سخط الله والاخرة
قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عبادا لنا وقري عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر وعن ابن عباس جالوت
قتلوا علماهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم
وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وجل اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وكقول الداعي وخالف بين كلمهم واسند الجوس
وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم وتخريب المسجد واحراق التورية من جملة الجوس المسند اليهم وقرا طلحة فحاسوا بالحا وقري فجوسوا وخلل الديار فان قلت
فما معنى وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة
على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرايل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود
جالوت اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل هو جمع نفر كالعبيد والمعيز اي الاحسان والاساة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم
وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جا وعد المرة الاخرة بعثناهم ليسوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوا وجوهكم
ليجعلوها بادية اثار المساة والكابة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقري ليسو والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث ولنسو بالنون وفي قراة علي رضي الله عنه
لنسوءن وليسوءن وقري لنسوءن بالنون الخفيفة واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جا ما علوا مفعول
ليتبروا اي ليهلكوا كل شي غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة
ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن رحمه الله عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم
يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان اخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيمة حصيرا محبسا يقال
للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة واينما قدرت لم تجد مع الاثبات
ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقري ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف ذكر المومنين الابرار والكفار
ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مومن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت علام عطف وان الذين لا يومنون

قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المومنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يومنون معذبون اي ويدعو
الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه
ويخطر بباله لا يتانى فيه التاني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد فارخت من
كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فعلم بشانه فقال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع
الله تعالى يديها فقال النبي عليه السلام اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد
بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب اتية لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس
هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاجيب له فضربت عنقه صبرا فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار ايتان في انفسهما فتكون
الاضافة في اية الليل واية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الاية التي هي الليل وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري
الليل والنهار ايتين يريد الشمس والقمر فمحونا اية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا
اي تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء روية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوءها
كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون
اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم
وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله
لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن يا ابن ادم بسطت لك صحيفة
اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون وقرئ يخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله تعالى ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج
والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا
حال من يلقاه اقرا على ارادة القول وعن قتادة يقرا ذلك اليوم من لم يكن قاريا في الدنيا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تميز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح
بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد
يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاه الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا
حسيبا ويجوز ان يتاول النفس بالشخص كما قال ثلثة انفس وكان الحسن اذا قراها قال يا ابن ادم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك اي كل نفس حاملة وزرا فانما
تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة
لهم قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم
وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرايع التي لا سبيل اليها الا التوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من
رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا واذا دنا وقت هلاك قوم فلم يبق من زمان امهالهم
الا قليل امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز
انه صب عليهم النعم صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير
ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب ايثار الطاعة على المعصية فاثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو
كلمة العذاب فدمرهم فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه
وذلك ان المامور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرا ولا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر

غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم على هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا
به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المامور به فكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره
مامورا به كانه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهي غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله ٢٠
تعالى لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت
تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه يقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك
تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشية انه من اهل الاحسان ومن اهل الاساءة
فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دل عليه حال صاحب المشية لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل كثرته فكثر
وفي الحديث خير المال سكة مابورة او مهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلم
انه سيامر اي سيكثر ويكبر وقرئ آمرنا من آمر وامره غيره وامّرنا بمعنى امرنا او من امر امارة وامره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم كم مفعول اهلكنا ومن
القرون بيان لكم وتمييز له كما تميز العدد بالجنس يعني عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة
لا غيره وانه عالم بها فمعاقب عليها من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر بتقييدين احدهما
تقييد المعجل بالمشية والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك
البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الاخرة واما المومن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الاخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا او لم يوت فان اوتي
والا ربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده فقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله
تعالى فلا فرق اذن بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا
بعمل الاخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه الصلوة والسلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن
كانت هجرته الى الدنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى سعيها حقها من السعي وكفاها من الاعمال الصالحة واشترط
ثلث شرايط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين
من لم يكن معه ثلث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية وشكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من
المضاف اليه نمدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الانف منهم مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله
محظورا اي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الاخرة التفاوت اكثر لانها ثواب واعواض و
تفضل وكلها متفاوتة وروي ان قوما من الاشراف ومن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل
بن عمرو انما اوتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الاخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر رضي الله
عنه فما اعد الله لهم في الجنة اكثر وقرئ اكثر تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهات بالرفع في مجالس الاخرة وهي اكبر
وافضل فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته
شريكا له وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا
بالوالدين احسانا وقرئ واوصى عن ابن عباس ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر
لا يتقدم عليه صلته اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا
يكرمك ولكن اما تكرمنه واحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرا يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدلا فان قلت

لو قيل اما يبلغان كلاهما كان توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه ان يكون مثله فان قلت
ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد
غير مراد فكان بدلا مثل الاول اف صوت يدل على تضجر وقرئ افٌ بالحركات الثلث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف الضم والتشديد كثم والضم
اتباع كمنذ فان قلت ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا
وربما يتولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولية فهو مأمور بان يستعمل معهما وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما
يستقذر منهما او يستثقل من مؤنتهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في هذه التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما
في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان
معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهر والنهي والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه
حسن الادب والنزول على المروة وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه كما قال ابرهيم عليه السلم لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء و
سوء الادب وعادة الدعار وقالوا لا باس به في غير وجهه كما قالت عايشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا وقرئ جناح الذل بالضم والكسر فان قلت ما معنى
قوله جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى
الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول والثاني ان يجعل لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل و
التواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا
بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمة الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فان قلت الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين
قلت واذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل
ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه
الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رضاء الله في رضاء الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل
العاق ما يشاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وروي سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر
اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما وشكا رجل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم
انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك
وشكا اليه اخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر فقال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن
كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر رضي الله عنه انه راى رجلا
في الطواف يحمل امه ويقول اني لها مطية لا تذعر اذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وارضعتني اكثر الله ربي ذو الجلال الاكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة
وعنه صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة توجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان
الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر وياخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابي يوسف رحمه الله اذا
امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفة انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يله غيرك وسئل الفضيل
بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر
ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه

بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج
الصدر وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذيتهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور للاوابين للتوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة
تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب بادر الى التوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب
منها ويندرج تحته الجاني على ابويه من جناية لوروده على اثره وات ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا
كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة رحمه الله والشافعي لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب
وان كانوا مياسير ولم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل
يعني وات هؤلاء حقهم من الزكوة وهذا دليل على ان المراد بما يؤتى ذووا القربى من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى اقرباء رسول الله صلى الله عليه
وسلم التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها
فامر الله تعالى بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد رضي الله عنه لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد
انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضا فقال ما هذا
السرف يا سعد فقال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهو غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم
واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل
فعله وقرا الحسن رضي الله عنه اخوان الشياطين وان اعرضت عن ذي القربى والمساكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سالوك
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سيل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا
سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط وان اعرضت
عنهم لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء
والابتغاء مسببا عنه فوضع السبب موضع المسبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض
بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من
فضله على انه دعاء لهم ييسر فقرهم عليهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف
والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند
نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن جابر رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل
داره ونزع قميصه فاعطاه وقعد عريانا واذن بلال رضي الله عنه وانتظروا فلم يخرج للصلوة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس
ابن مرداس وانشا يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم
لا يرفع فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضافة بان ذلك ليس لهوان منك عليه
ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هما من امر الله الذي الخزائن في يده فاما العباد
فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وجل بسط لعباده او قبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا
بسنته قتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهو الاملاق فنهاهم الله تعالى وضمن لهم ارزاقهم قرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطا وهو
الاثم يقال خطئ خطا كاثم اثما وخطاء وهو ضد الصواب اسم من اخطا وقيل هو والخطا كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطا بالفتح

والسكون وعن الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخبا وعن ابي رجا بكسر الخا غير مهموز فاحشة زايدة على حد القبح وسا سبيلا وبيس طريقا طريقه وهو ان تغصب على
غيره امراته او اخته او ابنته من غير سبب والسبب ممكن وهو النهي الذي شرعه الله الا بالحق الا باحدى معاني ثلث الا بان تكفر او تقتل مومنا متعمدا او تزني بعد
احصان مظلوما غير راكب واحدة منهن لوليه الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه وان لم يكن ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل في
الاقتصاص منه او حجة تثبت بها عليه فلا يسرف الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل والاثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا
به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بو بشسع نعل كليب وقال كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل ال مرة وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن
بواء وقيل الاسراف المثلة وقرا ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول
وقري فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراة ابي رضي الله عنه فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد
نصره بان اوجب القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله قد نصره بمعونة السلطان وباظهار المومنين على استيفا الحق فلا يبلغ ما وراحقه واما للمظلوم لان
الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الاخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف بالتي
هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره ان العهد كان مسولا اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا
كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي به تبكيتا للناكث كما يقال للموودة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسولا قري بالقسطاس بالضم والكسر
وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها واحسن تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يول اليه ولا تقف ولا تتبع
وقري ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال
والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة
الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته يفعل كذا وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا
مومنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وانشد ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحيا يشعرن التقافيا اي التقاذف وقال الكميت ولا
ارمي البري بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر
بالعمل به اوليك اشارة الى السمع والبصر والفواد كقوله والعيش بعد اوليك الايام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسولا عنه فمسولا مسند
الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر ولم عزمت على ما لم يحل العزم عليه
وقري والفواد بفتح الفا والواو وقلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفواد ثم استصحب القلب مع الفتح مرحا حال اي ذا مرح وقري مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم
الفاعل لما فيه من التاكيد لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطاتك وقري لن تخرق الارض بضم الرا ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو
تهكم بالمختال قري سيئة وسيئه على اضافة سيئ الى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف وسيات وفي قراة ابي بكر ابن الصديق رضي الله عنه كان شانه فان قلت كيف قيل
سيئة مع قوله مكروها قلت السيئة في حكم الاسما بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرا سيئة وبين من قرا سيئا الا ترى انك
يقول الزنى سيئة كما يقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومونث فان قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرا من قرا سيئه
بالاضافة فما وجه من قرا سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها اخر الى هذه الغاية
وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس هذه الثماني عشرة اية كانت في الواح موسى ولها لا تجعل مع الله الها اخر قال الله تعالى وكتبنا له
في الالواح من كل شي موعظة وتفصيلا وهي عشر ايات في التورية ولقد جعل الله عز وجل فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها
ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكما وحك بيافوخه السما وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم افاصفيكم ربكم خطاب
للذين قالوا الملايكة بنات الله والهمزة للانكار يعني افخصكم ربكم على وجه الخصوص والصفا بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم وهي البنات

وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها من الشوب ويكون اردأها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما
باضافتكم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم انكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله وهم الاناث ولقد صرفنا
في هذا القرآن يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او وقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا
للتكرير ويجوز ان يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا
وقرئ مشددا ومخففا اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج عليهم فما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه وعن سفيان رضي الله عنه كان اذا قرأها
قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا قل لو كان معه آلهة كما تقولون وقرئ كما يقولون بالتاء والياء واذا دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو معنى
لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا
اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة عن ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد
عما وصفوه به المراد انها تسبح له بلسان الحال حيث يدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله عما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها فان
قلت فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا
انهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة
على الخالق فان قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه قلت التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب
الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح
وشرككم حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر
ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كأنه قيل اذا قرأت القرآن
جعلنا على زعمهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه كأنه قيل ومنعناهم ان يفقهوه يقال وحد يحد وحدا
وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا
وحده والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا بما يستمعون به من الهزؤ بك
وبالقرآن من اللغو كان اذا قرأ يقوم عن يمينه رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون به ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال
كما تقول يستمعون بالهزؤ اي هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول بدل من
اذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة اي هو بشر مثلكم ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا
يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع لما قالوا ائذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا حجارة او
حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم
عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء
من الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعهما الجسارة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا
مما يكبر في صدوركم يعني يكبر عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخلق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل السموات والارض فسينغضون فسيحركونها
نحوك تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في
انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه
وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم

وعن قتادة رحمه الله تحاقرت الدنيا فى انفسهم حين عاينوا الاخرة وقل لعبادي وقل للمومنين يقولوا للمشركين الكلمة التى هى احسن وأليق ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتى هي
احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم وان يشا يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما
يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا
اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمدارات والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول اية السيف و
قيل نزلت فى عمر رضي الله عنه شتمه رجل وامره الله بالعفو وقيل افرط ايذا المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التى هي احسن ان يقولوا يهديكم
الله يرحمكم الله وقرا طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون وهو رد على اهل مكة فى انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان تكون العراة الجوع
بعض اصحابه كصهيب وبلال وخباب وبلال وغيرهم دون ان يكون ذلك فى بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن فى السموات والارض وباحوالهم ومقاديرهم وبما يستاهل
كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله واتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبيا وان امته
خير الامم لان ذلك مكتوب فى زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهو محمد وامته فان قلت هلا عرف
الزبور كما عرف فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد الزبور فسمي ذلك زبورا يريد واتينا داود
بعد الزبور وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمي ذلك زبورا لانه الزبور كما سمي بعض القران قرانا انهم الملئكة وقيل عيسى ابن مريم وعزير
وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى اخر
ويبدلوه اولئك مبتدا والذين يدعون صفة ويبتغون خبره يعني ان الهتكم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل وايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة
اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله تعالى وذلك بالطاعة وازدياد
الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم
نحن مهلكوها بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت فى كتب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها
اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا فى الكتاب
فى اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الايات من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الايات الا تكذيب الاولين
والمراد الايات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احيا الموتى وغيره وسنة الله فى الامم ان من اقترح منهم فاجيب اليها ثم لم يومن يعاجل بعذاب الاستيصال
فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الايات الا ان كذب بها الاولون الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب
اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون فى غيرها واستوجب العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نوخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها
الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان اثار هلاكهم فى بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة
بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالايات ان اراد بها الايات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة فان لم يخافوا
وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الايات كايات القران وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس واذكر
اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك
فجعله كأن قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته فى اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان
يدعو ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم فى منامه فقد كان
يقول حين ورد ما بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
امر بدر وما اري فى منامه من مصارعهم وكانوا يضحكون وهم يستسخرون ويستعجلون به استهزا وحين سمعوا بقوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية

وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تاكله النار فهذا وبر
السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع
الحديد الحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الايات انما نرسل بها
تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب
الاخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من
الايات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث
قالوا له لعلها رؤيا رايتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى الهتهم اين شركائي ذق انك انت العزيز الكريم وقيل هي
رؤياه انه سيدخل مكة وقيل راى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القران قلت لعنت حيث
لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة
وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسالت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس رضي
الله عنه هي الكشوث التي تلتوي بالشجر تجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدا محذوف الخبر كانه قيل والشجرة
الملعونة في القران كذلك طينا حال اما من الموصول والعامل فيه أاسجد على أأسجد له وهو طين اي اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه
طينا ارايتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدا فقال لئن
اخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم
احنك الشاتين اي اكلهما فان قلت من اين علم ان ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت اما ان سمعه من الملائكة وقد اخبرهم الله به او اخرجه من قولهم اتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء او نظر اليه فتوسم من مخايله انه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما عملت وسوسته في ادم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل ادم من الشجرة
اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وانما معناه امض لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فان
جهنم جزاؤكم كما قال موسى عليه السلم للسامري فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس فان قلت اما كان من حق الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة
ليرجع الى من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغايب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريق الالتفات وانتصب
جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه
فرة استفزه استخفه والفز الخفيف واجلب من الجلبة وهو الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل
ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الراجل ويضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات
لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك فان قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام وارد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه
على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استاصلهم وقيل بصوته
بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العبث وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها
في بابهما كالربوا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسايبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب
والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة
والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكباير والخروج من النار بعد ان
يصيروا حمما وايثار العاجل على الاجل ان عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون له في الاستعاذة منك

ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين فان قلت كيف جاز ان يامر الله تعالى ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير قلت هو من الاوامر
الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال تعالى للعصاة اعملوا ما شيتم يزجي ويسير والفرض من الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من
تدعون في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقلون برحمته رجاوكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم
او لم يهتد لانقاذكم احد من غيره من ساير المدعوين ويجوز ان يراد ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثنا
المنقطع افامنتم الهمزة للانكار والفا للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف مفعولا به كالارض
في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر اي يقلبه وانتم عليه فان قلت فما معنى ذكر الجانب قلت معناه ان الجوانب والجهات كلها في
قدرته سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو
الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبحر والبر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب
وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصبا يعني او ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصبا
يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم
فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشي الا قصفته فيغرقكم وقري بالتا اي الريح وبالنون
وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم بالياء والنون تبيعا مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف اي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان تبيع لحقه اي
مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل بهم ما نفعل ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم
بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم وقيل في تكرمة ابن ادم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل
بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شي ياكل بفيه الا ابن ادم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف رحمة الله عليه فقال له جاء في تفسير جدك ابن
عباس رضي الله عنه قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملايكة وحسب
بني ادم تفضيلا ان ترفع عليهم الملايكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شي وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل
الانبيا صلوات الله عليهم على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله تعالى امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيايه منزلة انبيايه من
اممهم ثم جرهم جسرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملايكة ربنا انك اعطيت بني ادم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك
فاعطنا في الاخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال المومن اكرم على الله تعالى من الملايكة
الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الاية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم
على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظروا الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة في عداوة الملا الاعلى فان جبريل عليه السلم
غاظهم حين اهلك مداين قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل على قلوبهم قري يدعو بالياء والنون ويدعى كل اناس على البنا للمفعول وقرا الحسن يدعو على قلب الالف واوا
في لغة من يقول افعو والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز ان يقال ان الواو علامة الجمع كما في واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعا ولم يوت بالنون قلة مبالاة بها
لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم بمن ايتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين يقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب
كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن رحمه الله بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم وان الحكمة بالدعا في الامهات
دون الابا رعاية حق عيسى بن مريم واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنى وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بها حكمته فمن اوتي
من هولا المدعوين كتابه بيمينه فاوليك يقرون كتابهم وانما قيل اوليك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرون
كتابهم قلت بلى ولكنهم اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالندا على خباياه والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام منه من الحيا والخجل والانخزال